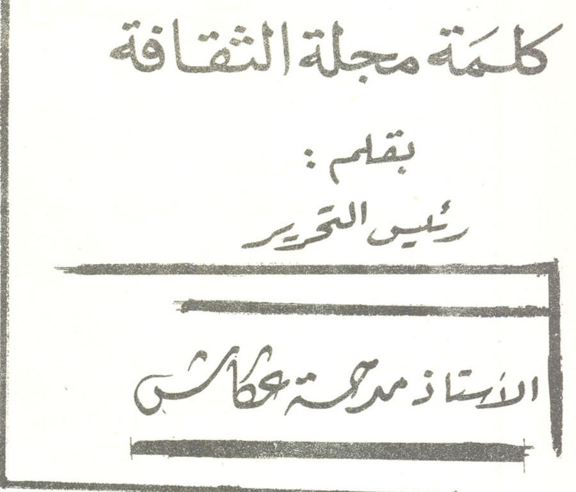




أحمد بن محمد حسن بن يوسف بن عبيد بن محمد سليمان بن عبد الرحمن الخزرجي الانصاري الدمشقي، من سلالة أنس بن مالك رضي الله عنه: اديب، شاعر، محقق، ورّاق نادر، وباحث في اللغة والدين والتاريخ، وعالم فذّ في مخطوط الكتب ومطبوعها، وصاحب النصيب الفردي الاسبق والكبير في فهم وتقدير التراث وخدمته ونشره نحو قرن كامل من الزمان، فلقّب بـ «أمين التراث العربي».

ولد في دمشق من ابوين دمشقيين، ونشأ وتوفي فيها. انقطع عن الدراسة في «مكتب عنبر» وأسس «المكتبة العربية بدمشق» سنة ١٩٠٨، وأنشأ مجلة «أنفس النفائس» سنة ١٩١٣ واصدر تسعة اعداد منها. وكان من اوائل روّاد ناشري وموزعي الكتب في البلاد العربية. واول من اصدر مفكرة الجيب والتقويم في بلاد الشام سنة ١٩١٦ و١٩١٧، وصاحب اول مشروع لاحياء ونشر سِيَر ابطال التاريخ الاسلامي واعلامه سنة ١٩٢٧، وهو مكتشف مخطوطة كتاب «رسالة الملائكة» لابي العلاء المعرّي سنة ١٩٤٤، وصاحب الفضل الاكبر بتعريف الناس على كتاب «تاريخ دمشق لابن عساكر» وبخدمة اصوله المخطوطة جمعاً ونشراً وتحقيقاً منذ سنة ١٩٢٧، ومن روّاد مؤسسي النهضة المسرحية في سورية سنة ١٩٠٦. من آثاره: ٣٥ كتاب مطبوع، و ٢١ قيد الطبع، واكثر من ١٠ غير منجزة، وعشرات المقالات واضعافها من التعليقات، وشارك مشاركة فعلية في موسوعة «الاعلام» للزركلي طيلة ٣٢ سنة متواصلة كما تولاها طباعة وتصحيحاً ونشراً.

اشاع خبرته وعمله ومكتبته لجميع من شاء النهل من ذخائرها من عرب ومستشرقين. واعتُبرت مكتبته العربية اول مجمع علمي عربي (غير رسمي) في الوطن العربي منذ سنة ١٩١٠، حيث كانت تعقد فيها تلقائياً، ندوات يومية لكبار رجالات الادب، وصفوة العلماء والشعراء والمحدّثين والفقهاء والصحفيين، فترفد عطاءاتهم، وترعى جهود السائرين على نهجهم بمنتهى الامانة والاخلاص، وتحرص على تكريم اعلامهم في اثناء حياتهم (موسوعة مشاهير شعراء العرب سنة ١٩٢١)، وبُعيد وفاتهم (ديوان الشيخ ابي الحسن الطبّاع سنة ١٩١٢، وكتاب كلمات النفلوطي سنة ١٩٢٤، وكتاب ذكرى

الشاعرين حافظ وشوقي سنة ١٩٣٣). كما امدّ مجمع اللغة العربية (وهو اول مجمع تأسس في الوطن العربي سنة ١٩١٩) وبكل الدعم والمشورة والخبرة التي كانت تُطلب منه باستمرار، منذ التحضير لتأسيسه على يد الاستاذ محمد كرد علي (المتوفى سنة ١٩٥٣) الى آخر الايام التي تولى رئاسته فيها الاستاذ الدكتور حسني سبح (المتوفى سنة ١٩٨٦). وهو العالم العربي الوحيد الذي اعتذر عن تلبية الدعوة المتكررة للانضمام الى عضوية مجمع اللغة العربية، انصياعاً منه لمبدئه في خدمة الوطن والعلم والعلماء، بكل صمت وجَلَد ورعي، بعيداً عن مصائد الشهرة والالقاب والاضواء. ولقد لُقِّب من قبل رئيس المجمع (محمد كرد علي) ونائبه (عبد القادر المغربي) ورئيسه السابق (حسني سبح) بـ «ابن النديم» صاحب الفهرست»، وكذلك لقّبه نائب المجمع الحالي (شاكر الفحام) في كلمته التأبينية مؤخراً.

مما قيل في ادبه: (... وهو من الادباء الذين يصحّ ان يقال عنهم انهم ادباء...، واتخذ خطّة جديدة في التأليف والجمع، نود ان يسير عليها ادباء العصر والمؤلفون عندنا، لما لها من الشأن الكبير في عالم التصنيف. ـ عيسى اسكندر المعلوف ـ). و: (... وطابع يكون مطبوعاً الى هذه الدرجة، ويعطي دروساً لاصحاب الكتب التي تطبع عنده، نادر في الدهر. ـ شكيب ارسلان ـ).

ومما قيل في عنايته بكتب التراث وخدمتها: (... والاديب احمد عبيد هو خير خلف من هؤلاء السلف، الذين جمعوا الى التجارة بالكتب، علماً في هذه الكتب، وله آثار جيدة وشعر طيب، ولايزال يطالعنا كل عام أو عامين بكتاب مما ألَّف أو جمع أو اختار، ..، وعمل الاخ عبيد قد جعلنا نشعر بان الامة العربية التي مزّق الاستعمار أوصالها بدسيسة العصبيات، من فرعونية وآشورية وبربرية وفينيقية، قد بقي فيها ذلك الوفاء الذي امتازت به على تطاول الدهور. ـ مجلة المقتطف ـ). و: (... وما عرفت انه ضنَّ يوماً بذخر ادَّخره، أو قنية اقتناها بعد جهد جهيد. فكأنه حارس وقف، أو أمين مؤتمن. لا يمنُّ ولا يستأثر. كل ما بين يديه موقوف للناس، يغرفون أنّى شاؤوا، ويقبسون حيث يُعوزهم القبس. فكان مصباحاً لا ينطفىء، ونبراساً لا ينضب، هو حاضر لكل قاصد، باذل لكل طالب، بضاعته العلم والمعرفة.. وما حجزهما دون أحد، فأفاد من سعيه كل ساع، واستفاد من عونه كل مستعين، ويهش ويبشّ للقريب والغريب على حدٍّ سواء، ...، لقد عاش بين الكتب، وفي خزائنها المتفرقة هنا وهناك، يقطف أزهى ما فيها من نضارات، وينشر أزكى ما فيها من معارف، ويبسُطها ويُبسِّطها لكل متطلع الى المعرفة، ولكل متلهّف الى امتناه اسرار العلوم، فكان بذلك، المرشد الى النور في مجاهل الظلام، والناصح الامين في الدلالة على الخير العميم، القابع في بطون الكتب وزوايا العرفان. ـ سليم الزركلي ـ). و: (... وهو من اعرف الناس بالمخطوطات في عصرنا الحاضر، ومن اكثرهم احاطة بشؤونها وشجونها. ـ مصباح غلاونجي ـ).

ومما قيل في تحقيقه: (... اثبت الاستاذ احمد عبيد بما نشر من تركة السلف حتى الآن، انه سائر على الطريقة العصرية في نشر كتب الادب والتاريخ، ....، فدلّ على ذوق في النشر ضاهى به علماء المشرقيات في تدقيقهم. ـ محمد كرد علي ـ). و: (... وما أحسب ان ناشراً من الناشرين العلماء، يتولى بنفسه وعلمه وخبرته تدقيق ما ينشره، يبلغ ما بلغ الاستاذ احمد عبيد من دقة، وان له في ذلك جهوده التي توازى، في كل كتاب من الكتب التي تولى تحقيقيها. ـ شكري فيصل ـ).

ومما قيل في شعره: (... أديب أريب، سليم الذوق، حسن الاختيار، يصنع القطعة أو القصيدة، فاذا رآها جهابذة القول وقهارمة البيان، لم يجدوا بداً من الاعتراف، بأن ناظمها اديب ثاقب النظر، كثير الخبرة بوجوه الفصاحة وتأليف الكلا. ـ محمد البزم ـ). و: (رويدك يا شاعراً ساحراً، عقود البلاغة ما ينظم / اذا انت اسررت ما نلته، فان الاجادة لا تكـ تقول فتطرب اسماعنا، وينطق في شعرك الأبكم. ـ خير الدين الزركلي ـ).

ومما قاله احمد عبيد:

ألا إنَّ حقّاً لم تؤيده قوّة
فذلك في شرع السياسة باطلُ
فلا تنبسط كفّاك للحقِّ طالباً
إذا لم تُفجّر من يديك القنابلُ

أحمد عبيد

سيرته الخاصة... وكفاحه

بقلم

ابن الفقيد الأستاذ: زاهر عبيد



أعودُ بنفسي للقديم فأنثني ... وقد ملئت نفسي سناً وجلالا
وأطلقُ طرفي في الجديد فلا أرى ... سوى ظلمة تكسو النفوس ضلالا

قال والدي ذلك، وهو منخرط منذ مراحل صباه الأولى، في كنوز تراثنا العربي، فنهل منها كثيراً من علوم الدين واللغة والتاريخ، وأنِس بصحبتها، وعقد معها صداقة أبديَّة لم يشبها شيء مما يُنغِّص بعض الصداقات الشخصية..:

تركتُ الشِّعر والشُّعراء لمَّا ... أنستُ بصحبة السَّلف الكريمِ
وردتُ حِياضَها فنهلتُ منها ... بكأسِ الأنس والصفو العَميمِ

تلفَّتَ حواليه، مراقباً ومحلِّلاً، فوجد لسان حاله يتساءل ويقول:

أيسمو أخو الغرب فوق السَّحاب ... يناجي الكواكبَ والفرقدا
ونحن نُضيع تُراثَ الجُدودِ ... وإرثَ البنين الكرامِ غدا
نبدِّدُ أموالنا في الهوى ... ونبتاعُ بالأطيب الأنكدا؟؟

فما كان إلا أن ازدادت صداقته مع فطاحل العلماء من أسلافه، عمقاً ومتانة، مع كل يوم جديد.. بل في كل ساعة جديدة يقضيها متمتعاً في عصورهم، وبكرم ضيافتهم، وفيض فوائدهم، وكنوز آثارهم:

شوَّقتنا الآثارُ للأعيانِ   وأثارت كوامنَ الأشجانِ

رُبَّما شاقتِ النفوسَ إلى الما   ضي وما فيه من جليل المعاني

بعد ما ظلَّ مُسْتَتِراً زمانا   في مطاوي الجحودِ والكتمان

أشرقت شمسُه فكانت حياة   وفداء لميِّت ولِعانِ

ذكرياتٌ ما تنقضي وشعورٌ   ما عَفَتْهُ عواملُ النّسيانِ

أيقظتها صحائفٌ من كتابٍ   لأديبٍ ذي خبرةٍ وبيانِ

كلُّ سطرٍ يطالعك التا   ريخُ بالسرِّ منه والإعلانِ

وهكذا، غدا والدي وقد ملك كيانه شعورٌ مُلحٌّ بواجب التعبير عن امتنانه غير المتناهي لأصحاب تلك الآثار الثمينة، ولوطنه العربي الواسع الذي كان له شرف إنجابهم. فلم يجد لذلك طريقاً أنجع من العناية بما خلَّفوه من ميراثٍ نفيس، ومن خدمة هذه اللغة السامية.. وأهل هذا التراث، بأكبر قدر تتيحه استطاعته الفرديَّة.

ولم يلبث هذا الواجب أن أصبح مهنته التي انقطع لها، حتى في فترات راحته وأوقات مرضه.. لا يفكُّه منها وَصَبٌ ولا يمنعه عنها سفر.

أخلص لما ابتغى فزاد إجادة، وجاد بما أخلص له فزاد صمتاً وتواضع نادرين، وانكباباً.. حتى يكاد المرء لا يراه ساعة، إلا وهو مستغرق مع صديق غالٍ في مطبوعٍ أو مخطوط، ينادمه، أو يخدمه ويقدِّمه إلى أجيال أحفاده.. معزَّزاً مكرَّماً، على مدىً يقارب المئة عام من عمره المديد.

ورغم جميع ألوان الدهر وخطوبه وتصاريفه التي تعرّض والدي لها، فإنه قلما فات ذاكرته «الفولاذية» (كما يقول المستشرقون من معارفه) تسجيل

خبر ظهور مؤلَّف مخلص للضاد، أو ولادة مؤلف عربي دسم في البلاد العربية وخارجها؛ أو أن يغيب عن تلك الذاكرة مكان مخطوط عربي نفيس في معظم أنحاء العالم.. مع الإلمام بوصفه وعصره ومصنِّفه، سواء كان موضوعاً في الطب أو الأدب أو التاريخ أو الفلك.. أو غير ذلك.

ولم يخصّ والدي خبرته العظيمة أو جهوده المضنية، بأي قدر من الذكر.. بل أنه لايزال يجهد في الابتعاد عن الشهرة والأضواء. ولقد كان توجُّهه بالثناء والثواب، في كل مرة يخرج فيها على الملإ صحبة أثرٍ خالدٍ.. لعملاق غابر يبعثه من طوايا الإهمال ومطاوي النسيان، منحصراً بمُبدعي تلك الكُنوز أنفسهم. ولعل خير ما يعبّر عن هذا التوجّه الوفي، هو ما قاله والدي في مناسبة مشابهة:

إلى مَنْ كتابي صفحةٌ مِنْ حياتهم بما فيه من دمعٍ ومن بسَماتِ
ومَنْ هو نورٌ منهُمُ قد قَبَسْتُه وروضُ بيانٍ ناضر الزَّهَراتِ
أُقدِّمُ هذا السِّفْرَ خير هديَّةٍ قَدَرتُ عليها في ربيع حياتي

ولقد أُوتي والدي من والدتي، الشريفة نظميَّة اللبابيدي[1]، ما يندر أن يتوفر لكل أديب معطاء في زوجة وفية صالحة.

فهي تحترم بكل إجلال ما يقوم به زوجها من مهمة سامية، فتسعى بكل استطاعتها، منذ عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٥ م)، لتوفير الجو الذي يتطلبه؛ ثم تتولى زرع احترامه وتقدير عمله وهدفه في دماء أولادهما منذ نعومة أظفارهم،

(١) توفيت رحمها الله ثالث ايام عيد الفطر سنة ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧/٥/٣٠م

وتخفف عنه ما استطاعت من عبء تربيتهم ومتاعبهم، وتتحمل معه الشّاق من الظروف الأسَريَّة وأهوال الحروب والعدوان. . وغير ذلك، في سبيل حمايتهم ورعايتهم وتنشئتهم تنشئة صالحة، أساسها الحبُّ والإخلاص لله والوطن.

ونعم الوالدان هما، إذ طبَّقا على نفسيهما أولاً كل ما يدعوان إليه من صالح الأمور. ولم يأتيا مرَّة ما نهيانا عنه، فكانا خير مثال لنا في الوفاء والبذل ونكران الذات.

وما هذه الأحاسيس التي ضمَّنها والدي بعض أشعاره، سوى تعبير عما يجيش بصدريهما معاً، تجاه أولادهما في كل زمان ومكان. .

حَيَواتٌ تعاقبت من حياتي	في بَنيَّ العِزازِ أو في بناتي
كنتُ في الكون ذرَّةً فتحلل	تُ بهم مُعنِقاً إلى ذرَّاتِ

ولم نلحظ عليهما يوماً ما ينمُّ عن التفضيل فيما بين أولادهما، اللّهم إلا في أحوال معيّنة، ينطبق عليها جواب أعرابية عندما سُئلت أي أولادها أحب إليها، إذ قالت: «الصغير حتى يكبر، والغائب حتى يحضر، والمريض حتى يجبر»؛ أو جواب فاطمة بنت الخَرشب الأنماريّة (امرأة زياد العبسي) إذ قالت: «ثكلتهم إن كنتِ أعلم أيّهم أفضل، فهم كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها». .

وعلى ذلك تشهد صيغة الجمع الدائمة التي وردت في قول والدي:

يا أحبّائي. . وما أصدقَه	من نداءٍ صادرٍ عن خِلْفِ بَيْنِ
لا تظنُّوا مثلَه من أحدِ	أيُّ حبٍّ مثل حبِّ الوالدينِ

وفي قوله:

أبصرتُ بالبدرِ منكم أوجهاً سطعت — أنوارُها فأضاءت قلب رائيها
وكلُّ ما تبصر العينان من حسنٍ — يُثير بي نحوكم شوقاً وتنبيها
لا أشهدُ الصفوَ إلا حين أشهدُكم — فأنتمُ عنديَ الدنيا وما فيها

وقوله:

لا تظنُّوا بأنَّني أتخلَّى — عن حياتي أو أنَّني أتسلَّى
أنتُمُ بهجتي ومَبْعثُ أنسي — وسروري من طُورِكم يتجلَّى
إن تدانيتُ أو تناءَيت فالقلـ — ـبُ معنًى بكم يُكابدُ ثقلا
وحياتي لكم ربيعٌ أنيقٌ — تستطيبون منه أمناً وظِلاّ
فاجتنوا من ثمارها مُخرفاتٍ — واكرَعوا من نَميرها المُسْتَحلا

أو بقوله:

... هداكُمُ الله ونعمَ الهادي
إلى سبيلِ الخيرِ والرَّشادِ
وصانكم عن فتنةٍ وعادِ
وعمَّكم بصحة الأجسادِ
ولا أراني فيكُمُ العوادي

كما أنهما لم يغفلا عن إرشادنا إلى كل الأمور الأساسية، التي تكفل الخير، لمن يتّبعها، في الدنيا والآخرة.
وحسبي هنا بعض ما جاء في ذلك على لسان والدي:

السعيد:

وَمَضاتُ السُّرور تلمع كالبر ق ويأتي السَّحابُ بالظُّلُماتِ
فاغتنمْ فرصةَ الحياة وبادِرْ لذَّةَ العيش قبل وَشْكِ الفَواتِ
واتَّخذْها ذريعةً لمسرًّا تِ حياةٍ تكون بعد المماتِ
فالسَّعيدُ السعيدُ من أحرز الدنـ ـيا وفي الحَشْرِ فازَ بالطَّيباتِ

إفعل الخير:

تخلَّ عن الشرِّ وأعملْ لِما يعودُ بخيرٍ إذا ما رَحَلْنا
وهَبْكَ بلغتَ السَّماءَ علاءً وأدركتَ كلَّ الذي قد أَمَلْنا
أليس قُصارى الحياةِ انقطاعاً وأنَّكَ تُجزى بما قد عَمِلتا

الزهد:

ما الزهدُ أغفالُكَ الدُّنيا وزينَتَها وأن تَجافى عن الأموال والناسِ
خلِّ الحرامَ، وخُذْ ما شئتَ مُرتفقاً بالطَّيبات.. فما في الأخذ من باسِ

ينبوع السعادة:

لا تحسَبَنَّ سعادة الدُّنيا بما تحوي يداك من الغِنى فيزولُ
إنَّ السعادة باليقينِ وبالرِّضا وهما دِعامٌ لا يكاد يميلُ
والقلبُ يَنبوعُ السَّعادة إن يَغِضْ منهُ فليس لها إليكَ سبيلُ

ترويض النفس:

عدوُّكَ نفسُكَ فاحشِدْ لها   كتائبَ من عملٍ صالحِ
فإن أنتَ ذلَّلتها بالتُّقى   فأنت على سَنَنٍ واضحِ

الفضل في النفْس:

لا تُؤخذَنَّ بألقابٍ مفخَّمةٍ   ولا بأثواب يُسرٍ غير ذي كَرَمِ
فليس فضلُ الفتى ثوباً ولا لَقَباً   لكنَّه في جلالِ النَّفْسِ والشِّيَمِ
ورُبَّ نجمٍ برأيِ العينِ تُبصره   مُصغَّراً، وهو فوق البدر في العِظَمِ

الهمَّة واليأس:

وجودٌ مثلُه العَدَمُ   وعيشٌ كلُّه ألمُ
عَلامَ تَسُرُّنا نِعَمٌ   قُصارى أنسِها نِقَمُ
وكيف تسوؤنا نِقَمٌ   وفي طيَّاتها النِّعَمُ
خطوبُ الدَّهر ما بَرِحتْ   تُصابُ بِصَرْفها الأُمَمُ
فلا تقعدْ بك الأحدا   ثُ ولتنهضْ بكَ الهِمَمُ
ولا تيأسْ فما باليأ   سِ من دنياك مُعتَصَمُ
أيحيا المرءُ إن ضاع الـ   ـرجاءُ وحاقتِ الظُّلَمُ؟
وهل يزكو جنى رَوضٍ   إذا لم تسقِهِ الدِّيَمُ؟

غمار المعالي:

الموتُ لا بدَّ منه   لكلِّ مَنْ حيَّ يوما
فخُضْ غِمارَ المعالي   غوصاً وإن شئت عَوما
وأرخصِ النَّفسَ عزَّاً   وأغلِ في المجد سَوما
العُرْبُ قومك فانهض   فنِعْمَ ذلك قوما

لا تُقصِرِ الخطوَ عنهم وأوسعِ العجزَ لوما
المجدُ ليس لِوانٍ يَغُطُّ في الدَّهر نوما
لا يبلغُ المجدَ إلا مَنْ ليس يألُوه رَوما
فاركبْ له كلَّ صعب وكلَّ وجناءَ كَوما
وسخِّرِ الريحَ جَرياً إلى ذُراه وحَوما
وَرِدْ حياضَ المنايا لا تَنْوِ عنهنَّ صوما
فمَن يَمُتْ وهو حيٌّ تَعِشْ بموتكَ دوما

المَودّات:

المودّاتُ في الرِّجال سلاحٌ وَمِجَنٌّ على الزَّمانِ وثيقُ
فادَّرِعْها إذا رماكَ عدوٌّ واعتقِدْها إذا عَراكَ صديقُ

العياذ بالله:

إذا ما ضاق ذَرْعُك بالهمومِ فلا تفزع إلى غير الكريمِ
فما في الناسِ منْ يَسْطيع كشفاً لضرٍّ أو معَاذاً من عظيمِ

القَدَر:

«لا يعلم المرءُ ليلاً ما يصبِّحُه» ولا صباحَ غداةٍ ما يُمسِّيه
فاستلهمِ الله خيراً واتَّبِعْ سبباً وارجُ المعونة تدرك ما تُرجِّيهِ

الصديق البر:

ليس الصديقُ الذي يُوليكَ نُصرتَهُ والدَّهرُ نحوكَ ذو قصدٍ وإقبالِ
لكنَّه مَنْ إذا دهرٌ أشاحَ عن الـ ـصديقِ كان أخا برٍّ وإفضالِ

الصديق الناصح:

إذا أبدى لك الإخوانُ عَيباً — فأَصلِحْهُ وحاذر أن تعيبا
فخيرُ الصَّحبِ في الدنيا وفاءً — صديقٌ يُصلح الخلُق المُريبا

العزلة:

لعَمْرُكَ ما شُهودُ الناس إلا — بلاءٌ والـ[illegible]ـةُ في الغيابِ
فَغِبْ ما اسطعت إلا عن كريمٍ — يرى لُقياكَ مِن خيرِ الطُّلابِ
يَهدِّي إنْ دَلَلتَ على صوابٍ — ويَهْدي إن زللتَ إلى الصَّوابِ

الحياة:

إنَّ هذي الحياة وَمْضةُ بَرْقٍ — نختفي بعدها عن الأعيانِ
ثمَّ نُجزى بما جنته اليدانِ — من جميل الآثار بالإحسانِ

لذة الحياة:

ما لذَّةُ العيش إلاّ — محادثاتُ الرجالِ
هم في السَّلام جمالٌ — وعُدَّةٌ في النِّضالِ
أو صحبةٌ لِكتابٍ — فيهِ فنونُ المقالِ
ما بين جِدٍّ وهزلٍ — يروقُ أهلَ الكمالِ
يُجلى بثوبٍ أنيقٍ — من الحقيقة حالِ
أو تجتليه بثوبٍ — من سانحاتِ الخيالِ
تعود منهُ بعِلمٍ — وقد تعود بمالِ

فضل السلف:

إذا المرء أنكَرَ أسلافَهُ — تَسَرْبَلَ ثوبَ الهَوانِ طويلا

ولا أتذكر في حياتي أنهما قد تشاجرا أو اختصما أو اختلفا على شيء جوهري، بل ان الاحترام المتبادل هو المسيطر الدائم على كل تصرفاتهما في جميع الأحوال. وما هذه الأبيات التالية التي عبَّر والدي فيها عن شعوره تجاه والدتي وأطفالها، أثناء إحدى رحلاته الكثيرة، إلا انعكاساً لشعور أُمّي نحو أبي، أيضاً في كل الظروف:

أحبابَنا ذاب قلبي فيكُمُ شَغَفا ... وأصبح الصبُّ من هجرانكم دَنِفا
يقضي النهارَ بذكرى عهدِكم فإذا ... جَنَّ الظلامُ غدا بالطَّيف مُؤتَلِفا
يَبُثُّه شوقَه النَّامي ويُقرئه ... جمَّ السلامِ ويُبدي الوجدَ واللَّهَفا
كم من يدٍ للكرى عندي أُسجِّلُها ... فإنَّه قادَ لي الأحبابَ حين هَفا
واطولَ شوقي لقومٍ في الشَّآم هُمُ ... حصني المنيعُ وعيشٍ بينهم سَلَفا
حيث الصَّفاءُ مؤاتٍ والمُنى أُنُفٌ ... والعيشُ غضٌ ودمع الحزن ما وكَفا
فهل تعودُ ليالي الوصلِ تسعدُنا ... فنلتقي وكأنَّ الهجرَ ما عُرِفا
إذن لكفَّرتِ الأيامُ حَوبَتَها ... وأحسنتْ لنفوسٍ صبرُها تَلِفا

---

* يقولون ان من أراد شيئا حصل عليه، هذا صحيح، ولكن بشرط ان يسعى الانسان للحصول على الشيء الذي يريده، فالارادة وحدها لا تكفي، بل يجب ان تقترن بالسعي المتواصل."

كفاحه الطويل

إنَّ توفّر تلك الصفات النادرة في والدتي ، كان من العوامل البارزة التي مكنته من مغادرة بيته مطمئناً ، في رحلات عمل متواصلة في أنحاء سورية ولبنان وفلسطين ومصر؛ أو في غياب طويل قد يستمر أسابيع عديدة يقضيها في مكتبته نهاراً . وفي المطابع ليلاً . . ساهراً على إخراج أعماله ، أو غائصاً في الكتب . . يحقّق في قديمها ، ويجدِّد في حديثها ، ويتقن فروع صناعتها بكل وجوهها ومضمونها ، مما كوَّن لديه دافعاً جديداً إلى المزيد من العطاء ، يحفوه تقدير وإعجاب جميع المخلصين من أهل العلم والأدب .

ومن النادر أن تفارق البهجة جَلَدَه وأناته الطموحين ، عند كل خطوة حاسمة من طريقه . وكيف لا . . وهو من اختار ، بملء قناعته وقراره ، واحداً من أصعب وأنجع سُبُل الوفاء لأصدقائه الغابرين . . ولأحفادهم في أُمَّته العربية . . ألا وهو طريق العلم؟

أَوَليس من يكرِّس حياته في بذل جميع طاقاته المعنويَّة والجسديَّة والماديَّة ، من أجل العناية بتراث أُمَّته ، وخدمة لغتها ، وبثِّ الروح الوطنية والخلقية في نفوس أبنائها . . هو كالجندي الوفي الذي يحمل السلاح لحماية وطنه؟

وأي جندي يكون هذا ، من لايزال منقطعاً - حتى هذه الساعة - على ما وقف عليه وقته وراحته منذ قرابة قرن كامل من الزمان . . . مُذلِّلاً بمفرده ، كل ما يعترضه من ذيول الأوضاع العسيرة التي ما انفكَّت الأُمَّة العربية تتعرض

لها من جميع الآفاق؟ ومتحملاً، فوق ذلك، تلوُّن أمزجة الناس، وجحودَهم، وتعدُّد وجوههم، وتفكُّك أواصرهم، وانعدام مُثُلهم، وانقلاب مفاهيمهم، وانعكاس وجهة حروبهم، وانتكاساتهم، وانحسار شجاعتهم، وانقراض دينهم وحميَّتهم، واستفحال مخازيهم، ورخص أعراضهم وأرواحهم وتراثهم وأراضيهم.. الخ طيلة عمره البالغ نحو قرنٍ من الزمان؟

لا شك بأن الصبر على القليل من بعض هذه المآسي المتَّصلة كافٍ بحدِّ ذاته لإسكات أي قلب بشري صحيح، أو - على الأقل - لخلق كثير من العثرات المستديمة والعسيرة في حياة أي إنسان مُسنٍ، لايزال يحافظ على تقاليده ومعتقداته (كالقابض على الجُمر). فتفلُّ عزيمته، ويمتدُّ قهره، ويزداد وجعه، ويعمُّه من اليأس ما يؤدي به إلى إهمال رسالته..، وإلى العيش في موتٍ مؤلم وبطيء يتكرَّر مع إطلالة كل يوم من محنة البلاد والعباد العربية في هذا الزمان، حتى يبلغ به الحال إلى القول:

أنجداني يا أيُّها الثُّقلانِ   من خطوب الأيَّامِ والحَدَثانِ

من شرور الأنام.. من هذه الـ   ـدنيا.. وتلك الأكدار والأحزانِ

كنتُ أخشى الممات قبلاً فصرتُ   اليوم أخشى من هذه الحَيَوانِ

فمصابٌ ينتابُني تِلوَ خطبٍ   وفؤادي ما بين ذلك عانِ

كلَّما قلتُ ذاك خطبٌ تولَّى   إذ وراه يجيء خطبٌ ثانِ

فبلاءٌ ومحنةٌ وعذابٌ   وكروبٌ يضيق عنها بياني

إلا أنَّ توجُّهَ والدي المتواصل إلى الله تعالى في السرَّاء والضرَّاء عن إيمان مطلق بقضائه وقدرته وحكمته عزَّ وجلَّ:

يُولُّونَ شطر العالَمين وجوهَهم — وإنِّي لغير الله لا أتوجَّهُ
ولستُ أبالي إن هُديت صراطَه — إذا ما لحاني فائلُ الرأي أكْمَهُ
فما نعمةٌ إلاّ وربِّي وليُّها — ولستُ أرى في النَّاس ما ليس يُكْرَهُ

ورفضَه القاطع الخضوع إلى اليأس:

ما اليأسُ ما بي فكم في اليأس من خطرٍ — وكم له في رَدَى الأقوامِ من أثرِ
اليأس خدعةُ شيطانِ النفوسِ فإنْ — هيَ استراحت إليهِ عَمَّ بالضَّررِ
اليأسُ ذلٌ وتعبيدٌ لصاحبهِ — واليأس أقتلُ داءٍ حلَّ بالبَشَرِ

وشدَّةَ تمسُّكه بهدفه السامي عن قناعة تامَّة، دون التركيز على الفوائد الماديَّة:

ما خائضُ الغَمَراتِ السُّود يبعثه — هَمٌّ كآخَرَ تُزْجيه الدنانيرُ

وخبرتَه الواعية بأن:

لا خيرَ في الأممِ استراحَ رجالُها — للمستضيم يسومُها الإفلالا

قد جعل والدي يُمعن النظر في عجائب الناس:

عجبتُ من الإنسان يُنكرُ ما أتى — سواهُ ويأتي كلَّ ما كان ينكِرُ

وفي إنسان عصره:

ماذا دَهـا الإنـسـانَ حتَّـى غَدا ذئبـاً يعيثُ في قطيـع الشِّيـاهْ
والـذئبُ لا يفتـكُ في جنسِـهِ والـمـرءُ لا يهـلِكُ إلا أخـاهْ

وتعدُّد وجوهه:

إذا مدحتُ امـرءاً يومـاً ففي غَدِهِ يَبـيـن لي من مطاوي شَرِّهِ أثَـرُ
أظُنُّ بالنـاس خيـراً ثم أكشِفُهم فلا يعـودُ بخيـرٍ منهُـمُ بَشَـرُ

وفي عجائب الزمان:

زمـانٌ تـوالـى تعـاجيـبـه وعـيشٌ يسوء بمـا قد أتـى
رجـالٌ يرومـون زيَّ الـنـسـاءِ وخـودٌ تحـاول زيَّ الـفـتـى

وفي انقلاب المفاهيم:

أيُـعلنُ ذو الجهـلِ إلحـادَهُ فيلهجُ في مدحـهِ المـادحُ
ويـجـهـرُ في دِيـنـه صالـحٌ فيتَّـهـمُ الـرجُـلُ الصـالـح

تدنّي القِيَم:

إذا مات فينـا أخـو منصـبٍ تصـدَّى لتـأبـينـه الـنـادبُ
وإن مات ذو الـعِـلم لم يَبْكِـهِ قريـبٌ ولـم ينـعَـهُ صاحـبُ

وانتشار الفِتن وتفشّي الجهل:

حنـانيـك يا ربّ كم فتـنـة يُهيِّجهـا المـرجف المغـرضُ

يُثيـر على الـشـرقِ أعـداءه فيُـزجي الصفـوفَ ويستعـرضُ

يؤلّـفُ ما شاء من مأثـمٍ فيُنعـتُ بالـمصلحِ اليَلْمَعي

ومـن يَدَّعِ الـعِلمَ في معشـرٍ جهـولٍ يُصـدَّقْ بمـا يدَّعـي

وفي تخلُّف بعض العرب وغفلتهم عن أسباب هلاكهم:

في كلِّ أُفْـقٍ من الآفـاق مُطَّلَعٌ للشـرِّ يُنذر أهلَ (العُرب) بالخَطَرِ

والمنـذَرون غُفـولٌ عن مصائرهم وقـد تَمـارَوا غداةَ الرَّوع بالنُّـذُرِ

وتناقض اقوالهم وافعالهم:

أشكـو الى الدِّينِ والأخلاقِ زِعْنِفَةً تدعـو إلـيـهـا بأفـواهٍ وأقـلامِ

امّـا الفعـالُ فمـا أنأى مسالكَهـا عنْ كلِّ صدقٍ وأخـلاقٍ وأحـلامِ

وفي تفرُّقهم:

أرى الدَّهـرَ يستشري على العُرب شرُّهُ وإنَّـهُـمُ من عُدَّةِ الأيـد عُزَّلُ

وما الأيدُ إلّا أن يكونوا على العِدى يداً بأسُهـا يُوهي العُـداةَ ويَعقِـلُ

لكـلِّ امرىء منهم نوازِعُ يَنتَحي بهـا في بُنيّاتِ الطَّريق فيُخذَلُ

ويـوغِـلُ كلٌّ في مَجاهِلَ، قَطعُها يُقـطِّعُ أعنـاقَ الـرِّجال ويَفْصِـلُ

فتساءل بكلِّ ألم:

أَلَيس من الشرِّ أنَّا نظَلُّ ... أسارى بأيدي الهوى أعبُدا
يفرِّقُ ما بيننا جهلُنا ... ويظفَرُ أعداؤنا بالجَدا
إلامَ الخمولُ.. وفيما الجُمُودُ ... وكلُّ الخَسارِ بأن نَجْمُدا

واستنفر قواه وجهده لمتابعة طريقه قائلاً:

تقوَّ إذا رُمتَ دَرْكَ العُلى ... فما يُدرك المجدَ إلا القويّ
ومهِّدْ بعزمك مِنهاجَها ... فليس سبيلُ العُلى بالسَّويّ

معتمداً على الله فيما نوى.. مستمدًا العون منه تعالى للتغلُّب على مايعترضه من عقبات وخطوب ومستعيذاً به عزّ وجلّ من دواعي اليأس:

إلهي عليكَ الدَّهرَ كلُّ اعتماديا ... فدارِكْ ولا تجعلْ ليأسٍ رجائيا
إلهي منكَ العونُ والغوثُ كلُّهُ ... وعندكَ أرجو من سَقامي شِفائيا
إلهي أنت المرتجى إن تداركتْ ... عليَّ صنوفُ الحادثاتِ عواديا
إذا دَهِمَتْني الكارثاتُ وأظلمتْ ... جوانب نفسي كنتَ أنتَ ضيائيا
وكيف يَضِلُّ النَّهجَ من أنتَ نورُهُ ... تُريه صراطاً لم يكن قَبلُ رائيا
فيا رَبِّ بلِّغني السَّلامة واهدني ... سبيلَ التُّقى واكشِفْ بفضلكَ ما بِيا
تبرّأتُ مِن حَولي إليكَ وقوَّتي ... فكن ليَ من كلِّ المكارهِ واقيا

ولم يلبث بعد جهد وكفاح نادرَين، وجَلَدٍ لا حدود له، أن تمكَّن من اجتياز مرحلة من أصعب مراحل العمر، ومن إنجاز جزءٍ لا بأس به من هدفه الكبير، فأكسبه ذلك بعض الشعور بالرضا، ساعده فيما بعد على متابعة مشواره الطويل:

رضيتُ من الدُّنيا بإدراك بُلْغَةٍ غنيت بها عن باخلٍ وكريمِ
فلم آلُ نفسي في الحياة كرامةً ولم تَأْلُني صبراً لكلِّ عظيم

وما انفكَّ يعمل دائماً في سبيل تراثه ولغته ووطنه حتى بلغ التسعين من عمره فقال بكل صراحة وإيجاز:

ثمانون عاماً جُزتُها بسلامِ وعشرةُ أعوامٍ مضت بتمامِ
تقلَّبتُ فيها بين لينٍ وشدَّةٍ وإخفاقِ آمالٍ ونَيلِ مرامِ
وما كان لي غير التجمُّل حليةٌ وغير ادِّراع الصبر حين صِدامِ
وإنِّي لأرجو أن أعودَ إلى الثرى بخالص إيمانٍ وحسنِ ختامِ

وها هو الآن.. وقد تجاوز الخامسة والتسعين من عمره..، لايزال يقضي وقته مع كلام الله تعالى، وباستقبال من لايزال يفد عليه للفائدة، وبالعمل بدأبٍ منقطع النظير في الكتب والمراجع. . رغم كل ما تعانيه روحه الشفافة، ووعيه الاسلامي والقومي الكبير، من آلام مبرحة. . بسبب ما أصبحت عليه البلاد والشعوب العربية من استخفاف بتراثها وقِيَمها. . وقيمتها ومستقبلها.

أحمد عبيد والوطن العربي

من خلال شعره

مآسي الوطن

لقد كرّس والدي حياته إذن، لتحقيق هدف واحد.. هو بكل إيجاز: خدمة الوطن.. أولاً وأخيراً. وما انفكَّ يعمل دائماً منذ صباه لتنفيذ هذا الواجب النبيل. فما هو النهج الذي سلكه؟

لقد فتح عينيه في وطنه العربي الذي كان تحت الحكم العثماني، فشاهد وعاش جميع الأهوال والأحوال التي مر الوطن بها منذ ذلك الحين مروراً بثورة الشريف حسين، والحربين العامتين الأولى والثانية، وبعصور الانتداب والاستعمار الإنكليزي والفرنسي، وظهور خداع المستعمرين غير المنقطع للعرب بجميع مللهم ومذاهبهم الدينية والسياسية.

كما شهد عملية تجزيء البلاد العربية، خاصة بلاده: بلاد الشام، إلى ممالك ودويلات عديدة. وسجّل أساليب المجزِّئين الأغراب في إثارة ودعم النزعات الطائفية بين الأعراب، أشقاء الدم والأرض والدِّين والتاريخ؛ وفي اقتطاع ما شاء لهؤلاء المستعمرين من أجزاء بلاده، والمقايضة بها مع دول أجنبية من أجل أهوائهم الخاصة، التي تتناقض جذرياً مع تاريخ أصحاب تلك الأراضي الغالية، ومستقبلهم ومصالحهم.

لقد شاهد ظهور الحدود الجديدة التي خلقوها في أرض الأمة العربية الواحدة، وكيف نصَّبوا من ذات أهلها، حرّاساً على تلك الحدود المصطنعة؛ وكيف بثُّوا في نفوسهم عادة الخصام والإقتتال فيما بينهم عليها.

كما اكتوى بالآثار الوخيمة الناتجة عن اقتناع تلك الحكومات الساذجة (التي عيّنها الاستعمار في هذه الدويلات العربية وغيرها) بتلك الإجراءات الجائرة. . وباتّخاذ دُهاة المستعمرين مستشارين خاصّين لهم، في أقدس أمور الوطن والدِّين والمجتمع.

ولاحظ كيف ترعرع وترحرح هؤلاء المستشارين في زرع البغضاء في عقول ونفوس بعض المثقفين والعلماء ورجال الدِّين من العرب، وتسخيرهم من أجل أهدافهم السَرَطانيَّة المنصبَّة على ترسيخ الجهل والملذّات، والتناحر، وقتل الكرامة والعزيمة والنخوة، وإبادة روح الثأر والعلم بين أوساط العرب، في مراحل متتالية، تستهدف نهب تراث وثروات وأراضي جميع الشعوب العربية. . كلٍّ على حدة.

لا شكّ أن كلّ ذلك قد ترك آثاره العميقة على طريق والدي، بل وعلى شخصيته ومستقبله، وجميع إحساساته وأحواله كافة. فكيف تعامل مع هذه العوامل القاهرة، التي لم ينج من أضرار أعاصيرها طفل أو شيخ. . ولا بيت أو وطن في أنحاء الأقطار العربية كافة، وفي بلاد الشام على الأخصّ. . التي لم تتعرض بلد في العالم لما تتعرض له هذه البلاد المميَّزة. . من فصم وقضم وتقسيم منذ فجر التاريخ حتى اليوم.

كي ينبت القمح يجب أن يهلك البذّار "

لا رغبة لي في أن أقود رجلا واحدا اذا عجزت عن مخاطبة عقله

دعوته إلى خدمة الوطن، والبدء بنفسه أولاً ثمَّ بأسرته

إنَّ كلام المرء، أي امرىء، لا يكون قابلاً لكسب من يقتنع به أو بتنفيذه، إلا إذا كان صادراً عن عالمٍ خبير، واعٍ في ظواهر الأمور، متبصّرٍ في بواطنها، مؤمن بمبادئه وبجوهر علمه، حكيمٍ في تصرفاته، منصفٍ في استنتاجاته، وأمينٍ في معاملاته وسلوكه.

ومن المؤكَّد، أن شخصاً لا يكون كذلك، أو لا يكون أول المطبِّقين لما هو مؤمن به، أو يدعو إليه، لا يمكن له - في الأحوال الطبيعية - أن يتوقَّع من الآخرين الأخذ بدعوته، أو حتى مجرد الإصغاء لما يقول، سواء في محيط أسرته، أو في وسطه الاجتماعي والمهني.

فبذلك، وربما بذلك فقط، تكون دعوة ما مقنعة للعمل بها من قِبَل بعض من تنتهي إليهم في ظروف مناسبة؛ وإلا فلن يكون نصيب صاحبها سوى الهزء والسخرية والنقد الشديد من الناس. سراً أو علناً.

إنَّها قاعدة منطقية عامة، عرفها والدي بخبرته، فكان أحرى المطبِّقين لها طوال حياته.

ولعلَّ هذا قد ظهر بجلاء في بعض نماذج أشعاره التي أوردتها سابقاً وإن أضفنا إلى ذلك الأمثال التي سأستشهد بها فيما بعد، لعرفنا مقدار إصراره الدائم على البدء بنفسه وبزوجه وبأولاده في كل ما ظل يرجوه لأمته العربيه حتى الآن، من انضباط بالأفعال، والتزام عملي بالعقيدة والمثل والتراث.

مفهوم خدمة الوطن

لم تكن «خدمة الوطن» لتعني بالنسبة له مجرد كلمتين نظريّتين، خاليتين من كلّ مضمون فعلي. . يتغنى المرء بهما قصائد ومعلقات تنشر في الصحف والمجلات، ضمن أبواب الأدب والفنّ والتحرُّر؛ ذمّاً بهذا الزعيم أو قدحاً بذاك النظام؛ في سبيل قرش أسود. . أو من أجل تصفيق فئة تافهة تعيش على حساب المجتمع، حتى ولو اضطره الأمر أن يخرج على دِين آبائه وأصالة أجداده، وأن يلوِّث شرف وتاريخ أهله وأحفاده ثم أُمَّته من المحيط الى الخليج. . . ؛ كلّ ذلك باسم «حب الوطن» و«الغيرة على الوطن». . .

فلقد كان من الأسهل على والدي أن يتحمَّل أقصى عذاب الصبر وألمه، من أن يقبل لنفسه النطق أو العمل أو. . الكتابة في ما يمكن أن يطعن في وطنه وأهله وتراثه بتعميمٍ شامل؛ أو أن يعلن غير ما يعتقد في باطنه ووجدانه.

إنّه أديب بالسليقة، والأدب بالنسبة اليه هو ممارسة الأدب في النقد البنّاء، ضمن حدود الأدب، وليس بالخروج على جميع قواعد الأدب.

فنقد العالم الخبير، عندما لا يكون موجهاً الى المنقود بذاته ـ خشية قصاصه ـ فيُعمّم ليشمل التسفيه بتاريخ وأخلاق شعب بأكمله، يصبح نقداً هدّاماً، وسلاحاً يتمكّن به الأعداء من النيل من هذه الأمة بأيدي أبنائها انفسهم وبألسنتهم، وبمثابة شهادة زُور «لشاهد من أهله»، أدلى بها في سبيل ربح آنيّ محرّم، أو للوصول إلى راحة نفسيّةٍ مُزيّفةٍ، او طلباً لشهرةٍ مؤقتة، او مجاراةً لتيّارٍ وبيئةٍ معيّنةٍ في ظروف لا امتداد لها.

ونقد كهذا، مهما كان عذر صاحبه فهو غير بارٍّ ولامُبرِّر، ويكون مفعوله أكثر طعناً وتجريحاً من مزاعم الأعداء ذاتهم على مرّ العصور. وعندما يروِّج المتربِّصون شرّاً بامتنا مثل هذا النقد، فإنهم لا يفعلون ذلك حباً بالناقد مهما

كان بارعـاً في مجاله، ولا قصد نشر إنتاجه العلمي أو الأدبي، ولا اعترافاً بخبرته أو سعة اطّلاعه، ولا مدحاً بشخصه، ولا إعجاباً بجرأته الأدبية (أو بالأحرى خروجه على الأدب)...... بل لتزوير الحقائق وقلب المفاهيم وتشويه الوقائع، عن العرب.. بواسطة العرب أنفسهم.

حبّ الوطن

لم يكن والـدي ليقبل التغني بحبه العظيم لوطنه أكثر مما يفعل من أجله. فالحبّ في اعتباره، حبّ أي إنسان لأي كائن في الوجود، يبقى فارغاً وعـديماً من أية نتيجة عمليّة ايجابيّة، إذا بقي مقتصراً على القناعة بمعرفة المحبوب، وبالافتتان بصفاته، أو منحصراً بإطلاق آهات الغزل والإعجاب به، والإشادة بنسبه ومآثره.

لقد فضّل والدي كتمان مشاعره الجيّاشة تجاه وطنه، والانصراف إلى العمل من أجله، والبذل له، باحترام وصمت بالغين. مستغلاً جميع طاقاته الفردية المحدودة، وكلّ وسيلة يمكن ان تساعد في رعاية محبوبه، وصونه من المنغّصات، وتوفير سبل العزة والكرامة له ما استطاع إلى ذلك سبيلا؛ مدفوعاً بتلك الغيرة المُبصرة التي زرعها الله في قلوب الجديرين بذلك الحب الكبير، لتُثير فيهم أسمى درجات الحميّة والحماس ونكران الذات.

ولـذلـك لم أجد في أشعـار والدي سوى القليل من مناجاته لوطنه الحبيب، بينما ظهر هذا الحب، على اشدّ ما يكون نقاوة وعمقاً ووفاءً في جميع تصرفاته وبكافة قصائده الاجتماعية والسياسية والقومية، التي توجَّه بها إلى جميع من بيدهم أسباب صيانـة الـوطن ورفعته وسؤدده. بدءاً بصغار الأطـفـال وألي أمـرهم وولاة تثقيفهم... مروراً بمتعهدي أمور الشعب ومصيره على اختـلاف درجـاتهم ومنـازلهم دون استـثنـاء... وانتهـاءً بالمستعمرين أنفسهم.

وجميع ما نظمه في ذلك، قد عبَّر بشكل تلقائي عن مدى تعلقه المتين بوحدة أمته العربية، وعن معرفته الواعية بكل مايرتبط بأصول تاريخها الراسخة. كما أنها قد دلَّت بوضوح تام على شعوره المرهف والخبير بدقائق ما يحدث في الوطن وما حوله، وعلى علمه بجميع التفاصيل الحقيقية التي أوصلت الشعوب العربية أصلاً إلى هذا الدرك المؤسف من الانفكاك والتخبُّط والذلّ.. رغم كل العوامل المتوفرة لدى الأمة العربية، لاسترداد دورها الحضاري الرائد الذي احتفظت به آلاف السنين.

شكوى البلاد العربية

لقد تلفت والدي حوله في البلاد العربية الفسيحة، وهو في مطلع شبابه، فسمعها تشكو على لسان «الشرق»[1] - (رغم وجود أناس حقيقين بالثناء والاحترام، يعملون للإصلاح في كل طائفة وفي كل بلد) - قائلة:

ويحي لقد مَلكَ الغريبُ قِيادي	واحتلَّ منّي ذروتي ووهادي
واحاطَ بي من كلِّ صوبٍ واعتلى	وابتزَّني مجدي وفضلَ جهادي
إنّي أنا الشرقُ الذي جَنَباتُهُ	بالمكرُماتِ نديَّةُ الأعواد
مهدُ الهُداةِ المرسلين ومَنزلُ الـ	ـعزِّ القديمِ ومَوئلُ الأجواد

---

(١) راج على ألسنة الناس وأقلامهم في أوائل هذا القرن، إطلاق كلمة «الشرق» اصطلاحاً على العرب في المشرق والمغرب، ولربما كان مردّ ذلك هو القائل: «الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا»... وما تبع هذا القول من تعليقات ومقالات كثيرة في حينه بالمجلات والصحف العربية بأقلام مشاهير الساسة والأدب والتاريخ.

قد كنتُ من أن أستضامَ بمَنْعةٍ ضَربت سُرادقَها يدُ الأجداد
كانوا نجومَ هدىً يسيرُ بضوئها هذا الورى لهدايةٍ وسَداد
كم من فتىً عزّت به أسلافُه وأبٍ سما بمعزّةِ الأولاد
وأرى بَنيَّ - هَدى بنيَّ إلَهُهم - قد أسلموا حَرَمي إلى الأضداد
كلٌّ يرى ما لا يَرى إخوانُه فيهيمُ من نَزَعاتِه في واد
هتكوا بجهلهمُ ستارَ وِئامهم فذَرَتهمُ ريحُ الشَّتات بَداد
الأغنياءُ مكاثرون بمالِهم يتعظّمون به على الأنداد
خفّوا إلى اللذات وهْيَ فواتكٌ كالطِّرْفِ خفَّ لحملةٍ وطِراد
لم تسمُ همَّتُهم إلى غيرِ الهوى يسعَون فيه بطارفٍ وتِلاد
ألِفوا الخمولَ وما الخمولُ سوى الردى فعَدت عليهم منه شرُّ عواد

* * *

والمرشدون غَدَوا إلى أهوائهم فِرَقاً تُراوحُ بالقِلى وتغادي
جعلوا من الإرشاد سمًّا ناقعاً يتسلّلون به إلى الأحقاد
تَخِذوا المساجدَ مَسرحاً ومَباءَةً للبغضِ والتفريقِ والإبعاد
هدموا مفاخرهم بأيديهم وأيـ ـدي الناسِ باسمِ الدينِ والإسعاد
هذا يُكفِّرُ ذاك - وهْو محرَّمٌ إكفارُه - ويراه خِذْنَ فساد
ولذاك أتباعٌ يَرون بأنّه لعلى هُدىً من ربِّه ورشاد
كلٌّ يَدينُ بشيخه وبرأيه ويرى سواهُ غايةَ الإلحاد
لم يكفِهم ما نال أمَّتَهم من الـ ـتفريقِ بين صحابةٍ وأعاد
هذا سبيلُ المرشدين وهذه آثارُهم في الوعظِ والإرشاد

* * *

فإذا عَدَوتهمُ إلى الحُكَّام مُرْ — تاداً لديهم عِزَّةَ الأمجاد
أَلْفَيْتَهمْ صَرعى الوظائفِ أعبداً — يتسابقون لرتبةٍ أو زاد
جارَوا أعادِيَهم إلى غاياتِهم — وتجاوزا أمَلَ البلادِ الحادي
ما ساءهم أن تُستباحَ ديارُهم — إمَّا دَنَوا من مَطمحٍ ومُرادِ
هم للبلاد أضرُّ من أعدائها — وهمُ لها من أشأمِ القُوَّاد

* * *

وإذا سألتَ عن التُّجَار فإنَّهم — ركَنوا إلى الدنيا بكلِّ فؤاد
شَغَلَتهُمُ الأموالُ عن أوطانِهم — وعن البنينَ وراحةِ الأحفاد
حسبوا صفاءَ العيشِ يبقى ظِلُّه — والصفوُ ليس يدومُ للمُرْتاد
بارت تجارتُهم فلا دنياهمُ — نالوا ولا فازوا بزادِ مَعاد

* * *

هذي بلادي إنْ جهلتَ صفاتِها — لا فرق بين حواضرٍ وبَوادِ
الشامُ تُشْبِهُ مصرَ والأقوامُ في — أدنى القُرى كالقومِ في بغداد[1]

---

(١) هذه الأبيات، وجميع ما سأستشهد به من أشعار والدي مقتطع من قصائد له، نُشرت بالصحف والمجلات العربية في أوائل عقود هذا القرن العشرين.

أحمد عبيد يخاطب الزعماء العرب

واقع الأقطار العربيّة

* ما في الشآمِ ولا العرا ... قِ ولا بمصرَ ولا الحطيمِ
إلا كليمٌ يشتكي ... ألَمَ الجراحِ إلى كَليمِ
قد أثخنته ظُبى العُدا ... ةِ فراح منهوش الأديم

* في كلِّ أرضٍ فتنةٌ شرُّها ... ما إنْ وَهى إلا استمرت قواهْ
وما دها الإنسان حتَّى غدا ... ذئباً يَعيثُ في قطيع الشِّياهْ
والذئبُ لا يَفْتِكُ في جنسهِ ... والمرءُ لا يُهلِك إلا أخاهْ

* في كلِّ أُفْقٍ من الآفاق مُطَّلَعٌ ... للشرِّ يُنذر أهلَ العُرب بالخطر
والمنذَرون غُفولٌ عن مصائرهم ... وقد تَمارَوا غداةَ الرَّوع بالنُّذُرِ
في كلِّ قارعةٍ ذكرٌ ومزدجَرٌ ... لكلِّ مُدَّكِرٍ منّا ومُزْدجِرِ
ظلمٌ وخُلفٌ وتفريقٌ ومَوْجِدةٌ ... ما أقربَ الهُلك من شعبٍ بهنَّ [illegible]

* في البيتِ والسوق والمحراب تفرقةٌ ... وفي الحكومات والأحزاب أضغانُ
والغاصبون جميعٌ أمرُهم وهمُ ... إلْبٌ يَؤزُّهم للشرِّ طغيانُ
فكيف يُرجى خلاصٌ أو يُرامُ عُلىً ... وكيف تَرْجِعُ للمحروبِ أوطانُ؟

إلى كل زعيم عربي.. وكل شقيق له

اللهِ للحَدَثِ الجسيمِ قد حلَّ منّا في الصّميمِ
خِلٌّ يُغير على الخليـ ـلِ ولا يبالي بالحريمِ
سهمٌ يسدِّدُهُ العدا ةُ من الحَميم إلى الحميمِ
الخطبُ خطبُ العُرْبِ ويـ ـحَ العُرب من شرٍّ عَميمِ
لمنِ الكتائبُ شُرَّعَ الأعلام تنبثُّ بين سباسبٍ وإكامِ
ولمنْ تُرى تلك السوابقُ ضُمَّراً تعدو بكلِّ مُغامرٍ مِقدامِ
ولمنْ تُعدُّ المَشْرفيَّةُ والقَنا ويُسدِّدُ الإخوانُ شرَّ سهامِ

* * *

وعَلامَ توقدُ بيننا نارُ الوغى ويَشُنُّها الإسلامُ للإسلامِ

* * *

يا ويحَ من جعلَ المَطامعَ قائداً يقتاده نحو الرَّدى بِزمامِ
من كان قائدهُ المطامعَ لم يَفُزْ يوماً بعيش مسرَّةٍ وسلامِ

* * *

فيمَ القتال وهذه أوطانُكم نَهْبُ العُداةِ وقسمةُ الأقوامِ
قد مارستْها الكارثاتُ فهدَّمت أركانَها بالنقض والإبرامِ

* * *

لا تفخروا بالنصرِ يُحرزُه الفتى		منكم فما بالنصرِ من إعظامِ
ما فخرُ من ذلّت به جيرانُه		وأذاق إخوتَه كؤوسَ حِمامِ

* * *

مالي أرى الإسلام أصبح أهلُه		متسابقين إلى أذىً وعُرامِ
وهو الذي يدعو إلى الخيرات والـ		إحسانِ والإسعاد والإنعامِ
يدعو بنيهِ إلى مودّةِ بَيْنِهم		وكأنّما يدعوهُمُ لخصامِ

* * *

ماذا عرا تلك النفوس فردُّها		خرقاءَ ليس تفيء للأحلامِ
تخِذتْ سبيلَ الغيِّ تحسبُه هدًى		فَرمتْ بها الأهواء شرَّ مرامي
سلّت سيوفَ البغي يدفعُها الهوى		فتسيرُ لا تألو إلى الآثامِ
كيف النزوع عن العِداء وهذه الـ		إخوان تضربُ بالطُّلى والهامِ

* * *

ألِفُوا مطايا العزّ يجري تحتها		دَمُ إخوةٍ شُمِّ الأنوفِ كرامِ

* * *

لا يستطيعون الحياةَ إذا نبا		لهُمُ عن الجيرانِ حدُّ حُسامِ

* * *

لولا رأوْا ما يوعَدون إذا هُمُ ائْـ		تَلَفوا من الإجلالِ والإكرامِ
لو أنّهم تركوا التّنابُزَ جانباً		وتظاهروا لعَلوْا أجلَّ مقامِ
ولهابَهم من لا يهاب ولا نَخْتَمي		بظلالِ عزّتـهم أعزُّ محامِ

رويدَكما لا تنشرا للوغى بَنْدا ولا تُخْفِرا للمسلمين بها عهدا
كفى ما أصاب المسلمين من الأذى ومن فُرقَةٍ لم تألُ أركانَهُم هدّا

* * *

ألم تُبْصِرا من أعين الغرب ما انطوت عليه قلوبٌ لم تكد دوننا تَهْدا
تصدَّوا لنا من كل وجهٍ وأوغلوا فكم أرصدوا عيناً وكم حشدوا جندا
وكم أرَّثوا بين الأخِلاَّء من قِلىً تزيد على مَرِّ الزمان بهم وقدا

* * *

إذا غفلتْ منَّا عن الكيد أعينٌ فأعينهم للكيد آلفتِ السُهْدا

* * *

يُسَقُّوننا كأسَ التفرُّق قاتلاً ويُسْقَوْنها من بَعْدُ مُترعةً شَهْدا

* * *

وما عَجَبٌ إن أفسدوا ذات بيننا فقِدْماً عرفناهم أعادينَا اللُّدّا
ولكن تعجَّبَ إنْ عَجِبتَ لأمَّةٍ تُسالم مَن عادى وتُسلِم مَن ودّا
تقاتل أحرى الناسِ بالحبِّ والرضا وأجدَرَهم أن لا تُحسَّ لهم حِقْدا
على أنَّها تُعطي المَقادَةَ والهوى لكلِّ غريبٍ لا تطيق له ردّا

* * *

تُهيِّجها مِن ذي القرابة نبوةٌ وتَحْتَمِلُ الظلمَ المبينَ من الأعدا

* * *

رويدَكما لا تَنْقُضا بعدَ قوةٍ وثيقَ ولاءٍ قدْ نَعِمْنا به عَهْدا
ألَمْ تعلما أنَّ التنازُعَ غِبُّهُ وخيمٌ، وأن الوُدَّ يَسْتَجلِبُ الودا؟

* * *

فلا تَهْـدِمَـا بالخُلْفِ ما قد بَنَيْتُمَـا ... ولا تُشْمِتـا فينـا المخالِفَ والضِّدا
ولا تَهْتِكَـا سترَ الإخاءِ الذي مضى ... ولا تَسْلُكـا غَوْراً يَسُـوءُ ولا نَجْـدا

* * *

وحيـدا بنا عن جاحم الحربِ إنَّها ... معـوَّدةٌ أن تُنْضـج العـظمَ والجلْدا

* * *

ومـا مِنْكُمَـا إلاَّ سَيَصْلى بحَـرِّهـا ... ويَـذْرِكُـهُ من شَرِّها بعضُ ما أرْدى
سَيَـرْجِـعُ منهـا خائبـاً كُلُّ ظَافِـرٍ ... فكيفَ بِمَنْ قد فَاتَهُ النَّصرُ أو أكْدى

* * *

على مَنْ وفيم النَّصْرُ؟ إلا على أخٍ ... كريمٍ وأرضٍ ما تجـاوَزَتِ الحدَّا؟
فبـالله والإسـلام إلا وَرَدْتُـمَـا ... حيـاضَ صفاءٍ نَستَطيبُ بِهِ الوِرْدا؟

* * *

رويـدَكُـمَـا ان العُـداةَ تأهَّبـوا ... فلا تُهْمِـلا ثغْـراً ولا تَثْغَـرا سَدًّا
ولا تأمَنا من جانبِ الغربِ ناصحاً ... فمـا هو إلا الخَبُّ لانَ أو اشتدّ؛

* * *

يُكـاشِفُ بالحُسنى ويُضْمِرُ غيرَها ... فيـا سوءَ ما أخفى ويا شرَّ ما أبدى

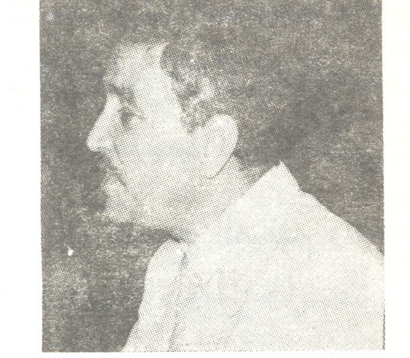
* * *

له كلَّ يومٍ في المشـارقِ نفثـةٌ ... هي السمُّ جَرْياً في المَقَاتِلِ أو أعدى
ولا تُبْلِغـاهُ باحتـرابكُمـا المُنى ... ولا تُوهِـنـا عزمـاً نرومُ له شَدّا

* * *

ولا تَخْضُدا من شوكةِ العُرْبِ واجنحا ... إلى السِّلْمِ لا ذُقْنَا لسِلْمِكُما فَقْدا

زاهر أحمد عبيد



كلمة مدير مكتبة الأسد

التي ارتجل فقراتها على مراحل

الأستاذ ماجد اللحام

مدير التوثيق والاعلام بمكتبة الأسد الوطنية

أرحّب باسم وزارة الثقافة، وإدارة مكتبة الأسد، وآل الفقيد، بكم جميعاً في هذا الحفل التأبيني.

تحرص وزارة الثقافة دائماً على تكريم العلماء والادباء، وكل من له اياد بيضاء طويلة في خدمة الثقافة في هذا البلد المعطاء. وفقيدنا ليس إلا أحد هؤلاء، إن لم يكن في طليعتهم. وإن كنّا نعدّ الاوائل في بعض العطاء، فهو أول من قدّم لنا التقويم الذي نزيّن به جدران بيوتنا ومكاتبنا، وهو أول من أسّس مكتبة تخدم القرّاء، وتقدّم لكل صاحب حاجة ثقافية ما يريد.

المرحوم أحمد عبيد، ليس من العلماء فقط، ليس ممّن عملوا في خدمة الثقافة فقط، فإنّما هو علم من هؤلاء الاعلام. وإن كانت وزارة الثقافة تأخّرت في إقامة هذا الحفل، فلِحلول شهر رمضان المبارك، وكان اربعونه خلال شهر رمضان. واليوم يمرّ شهران كاملان على وفاة المرحوم أحمد عبيد، وخلال فترة وجيزة ستحلّ المناسبة المئوية لولادته.

للمرحوم أحمد عبيد أثر كبير في تراثنا، فهو المحقّق، وهو الجامع، وهو الهادي للمخطوطات، فكان رحمه الله، مرجع كل باحث، يجمع.. ويقدّم.. ويخدم.. ويحقّق. كان قريباً من مجمع اللغة العربية، وكانت المكتبة العربية التي كنّا نسمّيها «مكتبة عبيد»، مركز لقاء، ومركز اجتماع لعدد من الادباء الذين يتنقّلون ما بين المجمع والمكتبة، لانهم وجدوا في هذه المكتبة ذخراً، ووجدوا في هذه المكتبة مرجعاً، ويجدون ضالتهم، لذلك فالقرابة كبيرة ما بين المجمع والمرحوم.

رحمه الله، لم يكن بائع كتب، بل آخى الكتاب، وأحبّ الكتاب، ودرس مراحل ظهور الكتاب منذ تأليفه حتى وجوده في المكتبة. ألّف، وحقّق، وأتقن تجليد الكتاب.. ، ولم يكن بائعاً بقدر ما كان ناصحاً ومرشداً.

لا يمكن أن نقول عمّن له مجموعة من الكتب، تحتل مكانها في المكتبة.. إنه مات، فعطاؤه دائم.. خمسة وثلاثون كتاباً منجزاً ومطبوعاً في المكتبة العربية، إلى جانب ما يعادلها من المخطوط.. ينتظر ظهوره إلى أيدي القرّاء، وأبحاث بدأ بها ولم ينجزها. فهذا الانسان لا يمكن أن نقول عنه إنه توفي.. إنه مات.. ، طالما عطاؤه دائم.

رحم الله أحمد عبيد، وكما يقول الحديث (وإن كنت لا أحفظه جيداً)، إذا مات أبن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، منها علم ينتفع به، ومنها ولد صالح يدعو له. وليس المقصود بالولد الصالح الذي يدعو له، أن يكتفي بالقول «ربي اغفر لي ولوالدي»، وإنما الولد الصالح الذي ينهج سلوك والده، ويترجم تربيته له، فكلما رآه إنسان ترحّم على والده. فهذا عطاء الانسان بأولاده، أن يحفظ لنفسه الرحمة على ألسنة الناس، من سلوك أبنائه.. ونرجو أن يكون أبناء الفقيد على نهجه.

ولا يسعنا في هذا اللقاء الكريم، إلا أن نطلب الرحمة لفقيدنا الغالي، جزاه الله عنّا، وعن كل من استفاد من عمله خيراً. رحمه الله.. آنسه الله، وطيّب ثراه، وأسكنه فسيح جنّاته، وشكراً لكم على حضوركم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الاستاذ ماجد اللحام

كلمة وزارة الثقافة

في

حفل تأبين المرحوم
أحمد عبيد
في مكتبة الأسد بتاريخ ١٣/٥/١٩٨٩

بقلم الاستاذ
خالد الريّان

مدير المخطوطات والكتب النادرة
بمكتبة الاسد الوطنية

عرفاناً بقيمة العلم والثقافة وجهود أهليه والعاملين في حقله تولي وزارة الثقافة اهتماماً كبيراً لتكريم رجالاته على مختلف تخصصاتهم العلمية والادبية والفنية والتاريخية.

وها هي ذي اليوم بهذه الامسية تذكر عالمنا الجليل وفقيدنا العلامة المحقق، والورّاق النادر، والاديب الشاعر، المرحوم أحمد عبيد الذي قضى حياته في خدمة العربية والتراث الاسلامي، تاركاً لنا اثراً خالداً لايزول.

رحل عنا المرحوم بصمت وهدوء، آثر ألّا ينافس الناس في دنياهم وارتحل دون أن يشغلهم عن امورهم واهوائهم.

عاش قرابة قرن من الزمن ينقب ويبحث في المخطوطات العربية ليكشف عن الجديد فيها ويقدمه لابناء امته العربية.

لقد سعى جاهداً، خلال فترة حياته الغنية بالعطاء، عن طريق الكلمة الواعية والموعظة الحسنة. والحكمة الخالدة لتوعية الناس، وحثهم على الاغتراف من ينابيع الثقافة والعلوم، ودعوتهم لقراءة كنوز تراثنا العربي الخالد، فكان خير معين للادباء والباحثين العرب، والمستشرقين، وطلبة الدراسات في بحوثهم العلمية، وذلك من خلال مكتبته العربية التي انشأها عام ١٩٠٨ فكان الناشر الاول، إنْ لم يكن الوحيد، في بلاد الشام الذي يقدم الكتاب التراثي المحقق بأتقن الطبعات وأرخص الاثمان.

كما كان من اوائل المحققين في بلاد الشام في مطلع القرن العشرين. فنشر عدة مخطوطات كان من جملتها:

- تخميس لامية ابن الوردي لابن الملاح، نشره سنة ١٩٠٨.
- ونزهة العمر في التفضيل بين البيض والسود والسمر للسيوطي سنة ١٩٣١.
- وسحر البلاغة وسرّ البراعة للثعالبي، طبع سنة ١٩٣٢.

وقد اختط لنفسه نهجاً خاصاً في تحقيق المخطوطات. فهو لا يعتمد على الاطالة والحشو في التعليقات والاكثار منها، وغايته اخراج النص كما وضعه المؤلف نفسه دون تدخل فيه إلا بما يوجب ذلك بما يضيئه ويزيده غنىً على غنى.

ومن بين آثاره المطبوعة نذكر منها على سبيل المثال:

- ذكرى الشاعرين: شاعر النيل حافظ ابراهيم، وأحمد

شوقي أمير الشعراء ذلك الكتاب الذي جمع فأوعى فتضمن اجود النثر والشعر، واقوم النقد من قبل اساطير الادب العربي وفكره.

- ومشاهير شعراء العصر، الذي كان ينوي أن ينجزه في ثلاثة أجزاء، تتناول شعراء مصر والشام والعراق. صدر الجزء الاول منه (شعراء مصر) عام ١٩٢٢، واعتبر حقاً وثيقة تاريخية بيد شعراء العصر أنفسهم.

وإن ننسى فلا ننسى التقويم العربي الهاشمي فهو أول تقويم صدر في بلاد الشام باللغة العربية عام ١٩١٦ وبقي مستمراً حتى يومنا هذا. ذلك التقويم الذي أراد به استاذنا المرحوم أن ينفذ منه الى.. تقديم الطرفة والحكمة والمثل والموعظة والشعر الجميل، وغير ذلك مما يثقف الناس ويؤدبهم.

كما اننا لا ننسى مشاركة المرحوم في تأسيس النهضة المسرحية في سورية من خلال ما ينشره من مقالات في النقد الادبي والمسرحي، اضافة الى قصائده الشعرية في الصحف والمجلات السورية والعربية في الثلث الاول من هذا القرن.

كما كان له السبق في احياء كتابة التاريخ العربي منذ عام ١٩٢٧ وذلك بنشر سير ابطاله الميامين، وتراجم اعلاما وعظمائه.

وكان لتحقيقه الجزأين السادس والسابع من تهذيب تاريخ ابن عساكر (تاريخ مدينة دمشق) لبدران عام ١٩٣٠ الاثر الطيب في متابعة تحقيق هذا المؤلف الضخم ونشره. ولمجمع اللغة العربية بدمشق الايادي البيضاء في ذلك.

وللمرحوم صداقات كثيرة من الادباء والشعراء والعلماء العرب. نذكر منها على سبيل المثال صداقته مع محمد كرد علي، ومحمد البزم، وأنور العطار، وعلي الطنطاوي، ويوسف العش، وشكري فيصل، ومقرىء الشام الشيخ محمود ياسين وصداقته الحميمة مع المرحوم الدكتور حسني سبح الذي كان يزوره كل خميس دون انقطاع.

ولعل صداقته مع المرحوم خير الدين الزركلي اقوى صداقة تربط بين أديبين آتت ثمراتها في قاموس الاعلام، حيث لم يكن المرحوم أحمد عبيد مجرد طابع له، بل كان عمْدة المؤلف الصديق الذي كان يرجع اليه في كل امر يعترضه ليجد عنده المخطوط الموضح، وبعض نماذج خطوط المؤلفين، وما يتطلبه موضوعه من توضيحات. وهذا ما نوّه به الزركلي في مقدمته للكتاب في اكثر من موضع.

وشاعرنا المرحوم أحمد عبيد اتخذ لنفسه نمطاً رقيقاً لطيفاً نافعاً من الشعر العربي الذي ينشره في تقويمه، وفي بعض الصحف والمجلات العربية بأغراض شتى من المديح والرثاء والحكمة، كان من آخرها هذه الابيات التي نظمها عن لسان حاله:

ثمانون عاماً جزتها بسلام
وعشرة أعوام مضت بتمام

تقلبت فيها بين لين وشدة
وإخفاق آمال ونيل مرام

وإني لأرجو أن أعود إلى الثرى
بخالص إيمان وحسن ختام

رحم الله فقيدنا المرحوم أحمد عبيد، وأسكنه فسيح جناته، وألهم ذويه الصبر والسلوان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

دمشق: مكتبة الاسد في ١٣/ ٥/ ١٩٨٩

خالد الريان

مدير المخطوطات والكتب النادرة

الأستاذ أحمد عبيد

بقلم الأستاذ الدكتور

شاكر الفحّام

نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

ينتمي الاستاذ أحمد عبيد، رحمه الله وأسبغ عليه واسع رضوانه، الى الجيل الذي نشأ في بلاد الشام في مطالع المئة الرابعة عشرة، حين بدأت تباشير اليقظة العربية تشرق بأنوارها، ونسمات الشعور القومي تهب رقيقة هادئة، ويتناشد الناس بصوت خافت أمثال: «تنبهوا واستفيقوا أيها العرب».

ويحدثنا الاستاذ أحمد عبيد عما كان لشيخه الطباع الذي أشرف على تعليمه في المدرسة الريحانية من آثار بليغة حبَّبَتْ اليه العروبةَ والعربية، وفطرته على التعلق بهما تعلقاً ملك عليه نفسه، ووقف لها حياته، وكرَّهتْ اليه تلك العجرفةَ التركية التي تصر على تجاهل العربية المبينة، وتلحُّ على فرض اللغة التركية في أرض العروبة، فهي لا تدرِّس إلا بها، وتقسرُ الناس على اصطناعها في الحياة العامة والادارة والتعلم والتعليم.

كان أحمد عبيد من هذا الجيل العربي الذي تفتح وعيه القومي، وضاق ذرعاً بما فرضه العثمانيون من عسف وظلم وجهل على البلاد العربية، وتطلع، كما تطلع ابناء جيله، الى ما كان عليه العرب في ماضيهم من مجد باذخ، وحضارة زاهرة. فاندفع يثقف نفسه، ويبحث عن الكتب العربية التي تلبي طلبه، وتستجيب لرغبته، وأصبح صديق الكتاب وأليفه، لا ينفكّ عن القراءة والمطالعة وتعليق الفوائد.

وظهرت موهبته مبكرة، فاذا هو يقرض الشعر، بل يتفوق على مَنْ سواه، لينال الجائزة في نظم القريض، وهو لايزال فتىً غضَّ الاهاب في السادسة عشرة من عمره.

وأتاحت له القراءة العريضة، وصحبة الكتب ان تتسع آفاقه، وتتعدد قدراته، فاذا هو يشارك في قول الشعر والكتابة، والنقد الادبي والمسرحي، ثم لا ينسى حظه في التحقيق واحياء التراث العربي الذي أحبه الحب الجم، فنهض بأعبائه على خير الوجوه، قد تزود له بمعرفة في اللغة عميقة، واطلاع على التاريخ العربي، وثقافة عامة شاملة تسعفه وتلبيه.

وحين قُدِّر له أنن ينهض بتحقيق «تخميس لامية ابن الوردي لابن الملاح» (دمشق ١٣٢٧ هـ - ١٩٠٨ م)، وكان في نحو العشرين من عمره، كان قد خطَّ طريقه اللاحب الذي ارتضاه ليمضي فيه الى آخر الشوط في حياته.

لقد نفض يديه من الواقع المرير المؤلم الذي يحيط به ليرى في الحضارة العربية الزاهرة مثله الأعلى الذي يرنو اليه، وفي أيام الشموخ والعزة العربية ما يتطلع اليه، فهو يوازي ابداً بين الماضي الكريم والحاضر المتخلف، ليدعو ويستثمر الهمم، وليشارك أبناء جيله في العمل الدائب للنهوض بالامة العربية كي تعود سيرتها الاولى.

وان الهدف العظيم لتتعدد اليه المسالك، وتتشعب لبلوغه الطرق.

وقد رأى الاستاذ أحمد عبيد أن قدره ومصيره أن يقف نفسه وجهده ووقته لتنمية الوعي القومي، وتحريك المشاعر الوطنية، باحياء تراث الاجداد الاكرمين، والكشف عن ماضي العرب المجيد، وبالاهابة بقومه، وهو الشاعر الكاتب، أن يهبوا لينفضوا عنهم غبار السنين، ويمزقوا أردية القرون المظلمة كي يشاركوا في صنع التاريخ والحضارة وكذلك فعل.

فقد اختار المكتبة مثابة له وموئلاً، ينهض عن طريقها بما أخذ به نفسه، وشدَّ له حيازيمه. إن حبه لامته ولغته، وان تعلقه بالمثل العليا في الحياة، هما الخيط الذي ينظم كل أعماله وتصرفاته، وهما المفتاح الذي يفسر منطلقاته ومآتيه وما قام به طوال حياته.

لِمَ اختار أن يسمي مكتبته العربية؟ أليس هذا وفاء واستجابة لنزعة جيله الذي نذر نفسه للعمل القومي؟ ألم يكن شعار الدولة العربية التي قامت في دمشق آنذاك أن تطلق صفة العروبة على كل منشآتها: فأقامت معهد الحقوق العربي، والمعهد الطبي العربي، ودار الكتب العربية، والمجمع العلمي العربي، والنادي العربي، ومثل ذلك كثير كثير.

وكان رحمه الله جم النشاط، يعمل ليل نهار، لا يفتر ولا يملّ، قد بُسِطت أمام عينيه المكتبةُ العربية بمخطوطاتها ومطبوعاتها، وأسعفته ذاكرة قوية تلبيه وتستجيب له، وذكاءٌ متقد، وبصيرةٌ نفاذة.

انه ليذكّرني، وأنا أستعرض صفاته ومواهبه وقدراته المتعددة، وعملَه وصبرَه بأولئك الوراقين العظام، ذوي الثقافة العريضة الواسعة، الذين أغنوا المكتبة العربية، ورفعوا من شأنها أمثال ابن النديم صاحب الفهرست.

ويكفيني أن أذكر تعليقاته القيّمة على كتاب الاعلام الزركلي ليتراءى لنا أي عالم بين جنبيه! فاذا ضممتَ الى ذلك ما زين به الكتب التي تصدى لتحقيقها من فوائد ونوادر وما افصحت به أشعارُه وكتاباته وتآليفه من ثقافة عميقة محيطة، ونظرات بعيدة، اكتملت لك صورة أحمد عبيد العالم الراوية المحدث الناقد الوراق.

ولقد كان رحمه الله، متواضعاً كل التواضع، يبتعد عن الشهرة، وينزوي بعيداً عن الأنوار والضجيج. واذا قدر لك أن تتصفح كتاباً قرأه أدهشك ما علق به على حواشيه من تصحيحات وفوائد ومراجع، يمسكها لا ينشرها، انه سعيد أن يقدمها الى صاحب الكتاب فحسب، ولكنه لا تنزع به نفسه الى ما وراء ذلك.

كان يرى في السلف الصالح مَثَلَه وقُدوته، فكان يتجمَّلُ بأخلاقهم، ويتحلى بمناقبهم من النزاهة والصدق والأمانة وأمثالها من الشيم الحميدة، يعرف ذلك له كلُّ من كان له صلة به، أو تعلَّق منه بسبب. ولا أريد أن أعدِّدَ محامدَه، وأشيد بصفاته. بل يكفيني أن أقص حادثة جرت معي في عام ١٩٤٤ م، مازالت الذاكرة تختزنها حتى يومنا هذا.

كنت أبحث عن كتاب «بغية الوعاة للسيوطي» في مكتبات دمشق القائمة في حي الصالحية، فلم أظفر ببغيتي، ونصح لي ناصح منهم أن أذهب الى المكتبة العربية في سوق الحميدية لأجد طلبتي. كانت تلك اول زيارة لي للمكتبة. وواجهني في مدخلها رجال تلوح عليهم سيما العلم، قد تحلقوا يتحدثون ويتناقلون أخبار الكتب والمجلات، ويتبادلون ما يعرفون من أنباء اخوانهم واصدقائهم العلماء والكتاب والشعراء. وقفتُ هنيهة استمتع بأحاديثهم العذاب، ثم طلبت ما جئت من أجله. وفي أقل من القليل جاؤوني بالكتاب، فأمسكه الاستاذ أحمد عبيد رحمه الله بيده، ونظر في صفحة الغلاف الداخلية قبل ان يقدمه الي، ثم فتح الكتاب على صفحة محددة ليقول لي: ان في الكتاب عيباً فقد تمزق طرف هذه الورقة فيه.

أخذتُ الكتاب تتملكني الدهشة لهذه الامانة والدقة. وسألتُ: أيمكنني الحصول على نسخة أخرى سالمة.

وأجابني بهدوء العالم الواثق : انها النسخة الوحيدة الباقية في المكتبة ، ولن تجد الكتاب في مكتبة أخرى ، فالطبعة نادرة .

وظلت هذه المقابلة الاولى بما تحملُ من معانٍ راسخةً في نفسي . فأنا أقابل بائع كتب كما عهدتُ من قبل ، ولكني قابلتُ عالماً تُعْقد المجالسُ في مكتبته ، ويقصده العلماء الوافدين من كل صقع ، يسألونه ويفيدون من علمه ومعرفته . ثم هو من ذلك الجيل الكريم الذي لا يهمه الكسب أنَّى أتى ، بل شعاره الكسب الحلال والأمانة والنزاهة في المعاملة .

مازلت أذكر مجالسه حين كنتُ أزوره في بيته ، في أواخر أيامه ، بعد أن اضطره المرض الى الاعتكاف ، فاذا هو كالعهد به دائماً ، حي الذاكرة ، يحدثني حديث الكتب ، وما قرأ في أيامه الماضية ، وما علّق به ، ويستشهد على ما يذهب اليه من رأي بشواهد تنثال عليه دون تمهل ، وتسعفه الذاكرة بما يريد من المخطوطات والمطبوعات .

لعل الاستاذ أحمد عبيد آخر من يمثل هذا الجيل المعطاء الذي تحدثتُ عنه . لقد تعرفت بأبنائه السبل في خدمة وطنهم والذود عن أرضهم ، ولكنهم قضوا جميعاً مخلصين لأمتهم وبلدهم ، لم يبدلوا ولم يغيروا ، ولم يهنوا ولم يجزعوا . فجزاهم الله عن أمتهم خير الجزاء وأزكاه .

الاستاذ الدكتور شاكر الفحام

نائب رئيس مجمع اللغة العربية

من تقاويم أحمد عبيد

قال سيفان الثوري يصف «السريرة والعلانية» :

. . «اذا استوت السريرة والعلانية فذلك العدل . واذا كانت العلانية افضل من السريرة فذلك الجور . واذا كانت السريرة افضل من العلانية فذلك الفضل .

وقال الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه :

أربع من خصال الجهل : من غضب على من لا يرضيه ، وجلس الى من لا يدنيه ، وتفاقر الى من لا يغنيه ، وتكلم بما لا يعنيه .

وقال الدكتور أحمد أمين يصف «التردد والحذر» اذا انت اكثرت من التردد وبالغت في الحذر ، ولم تقدم على عمل حتى تثق من نجاحه مائة في المائة ، فقد تصلح ان تكون اديباً حالماً ، أو فيلسوفاً في الخيال سابحاً ، ولكن لا تصلح ان تكون رب عمل ناجح .

وقال الشاعر الراحل سليم الزركلي (١٤٠٣ ـ ١٩٨٩) يصف دمشق في الابيات التالية :

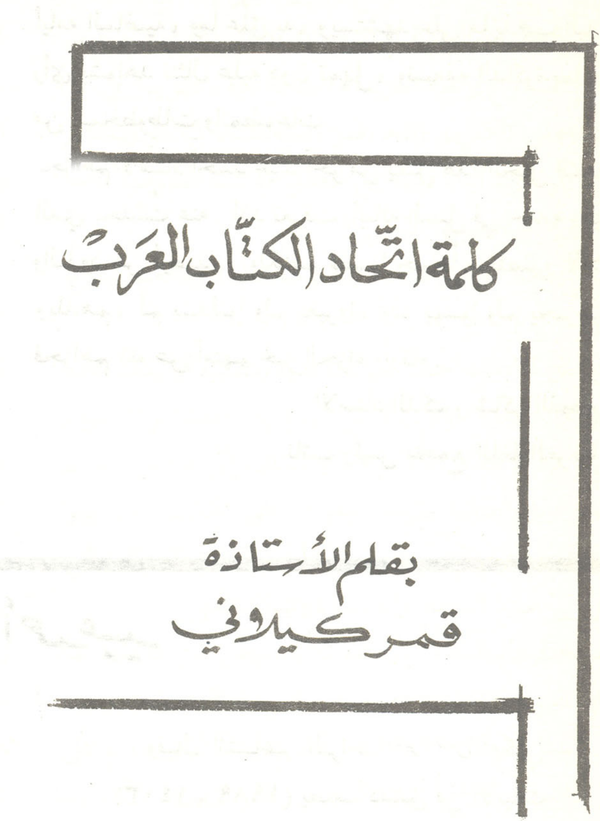
دمشق يا موئل الصبر الجميل ويا دنيا الميامين من انسال عدنان

يا جنة المؤمنين الصالحين ويا مهد المروءات من شيب وشبان

يا عالم الكبرياء الفذ مالحقت بغير مجدك اذكا واذراني







«كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء» . .

وفقيدنا المرحوم . . أحمد عبيد . . كانت هذه الشجرة الوارفة للكلمة الطيبة التي مدت ظلالها وطرحت ثمارها خلال قرن من الزمان . . . مستمدة نسغها وحيويتها من الايمان بهذه الامة وبالتراث العربي . . . ضاربة بجذورها في أرض العروبة ، ، ، مهتدية بهدي القرآن طامحة بالعودة الى ايام الالق والمجد والعنفوان .

ليس منا ـ نحن ابناء دمشق من جيل مضى ويمضي ـ من لم يعرف المكتبة العربية بدمشق وما كان لها من مطبوعات ومنشورات كانت عوناً لمن تابع الدراسة والتحصيل العلميين . . . ومنهلاً لمن اراد ان يغترف من التراث . على الاقل عرف ابناء دمشق هذا العنوان والرمز الذي يحمل اسم المكتبة وهو (التقويم) أو (الروزنامة) بالاصطلاح التركي . وكم قلبوا أوراقها بلهفة وشغف ليقرؤوا من امثال وحكم ومواعظ واشعار . . . وكم احتفظوا بدررها المنثورة قرآناً وحديثاً وسيرة ومغازي وبطولات . . . حتى أصبح هذا التقويم امثولة . أما ابناء العربية . . . على امتداد البلاد العربية . . . فقد عرفوا هذا الرجل المتواضع الصموت «أحمد عبيد» وهو على ضوء قنديله في زوايا دمشق القديمة عاكفاً على كنوز الماضي يستخرج منها كل غالٍ ونفيس ليضعه أمامهم وفي النور فيفيد منه كل باحث ودارس . . . بل كل عربي يحرص على ماضيه ليضع منه الحاضر :

أيها الحفل الكريم :

باسم اتحاد الكتاب العرب (ومن اوليات اهتماماته التراث) ووفاء منه لكل من قدم للادب والابداع والترجمة والتصنيف والتأليف اتقدم بكلمتي الصغيرة هذه راجية ان تغرس شمعة على جانب اضواء كثيرة فتكشف عن جزء من عطاء هذا الرجل الكبير علماً وثقافة واطلاعاً فيما قدمه للتراث العربي وللغة العربية وللشعر العربي من ثمرات يانعات انتفعت وتنتفع بها الاجيال على تعاقبها واستمرارها وتكون نموذجاً لمن اراد ان يغوص في هذا البحر اللجين بحر التراث وهو لا يملك إلا العزيمة والصبر. اذ ليس بالشيء القليل ان تكون بين ايدينا



عشرات الكتب المحققة أو المجموعات المصنفة أو اعداداً من القصائد المجهولة أو المفضلة التي تورد حتى في دواوين اصحابها على يد اصحابها انفسهم أو من يهتمون أو يلوذون بهم.

إن مثل هذا العمل ـ جزئياً أو كلياً ـ يحتاج في هذا الزمن الى فريق عمل كامل والى اجهزة متخصصة ومدربة. والفقيد كان كل ذلك مجتمعاً في شخص واحد فلا عجب ان يطلق عليه لقب (امين التراث) ولا غرابة في ان يكون له هذا الفيض من الانتاج.

ايها السادة والحضور:

إن العظمة انما تقاس بظروف اصحابها والقيمة تعرف بشروطها. وما من احد يجهل تلك الظروف القاسية والمظلمة التي كانت تعيشها سوريا بين البلاد العربية كلها في مطلع هذا القرن من اضطراب وتسلط سياسيين اجنبيين سواء منه التركي أو الفرنسي ومن جهل وتخلف وظلام فكري ومن شحّ أو نضوب في تأليف الكتب وتصنيفها حتى ان اللغة العربية نفسها كانت مغيبة عن المعاهد والمدارس. وليس منا من لا يقدر اهمية جهود تبذل في مثل هذه الظروف لرفع لواء اللغة العربية أو طبع الكتب التي تحتفي بها وطرحها للتداول. ان القيمة تنبع من الشروط... والريح لم تكن مواتية... ومع ذلك... أسست المكتبة العربية بدمشق في ذلك الوقت ١٩٠٨ وأصبحت مورداً شبه وحيد ينهل منه الطلاب والباحثون والدارسون كما أصبحت مركز اشعاع عنه تصدر المخطوطات منقحة ومطبوعة مبوبة ومعنونة تدعم مجمع اللغة العربية الذي تأسس في دمشق بعد ذلك بسنوات أي ١٩١٩ وتغذي باستمرار المكتبة الظاهرية بأنفس المخطوطات والمطبوعات. وهكذا ظلت على مدى ستين عاماً أو أكثر حتى تحولت بعضاً أو جميعاً الى هذا الصرح الحضاري الذي نعتز به وهو المكتبة الوطنية أو مكتبة الاسد.

فعلى يد المرحوم «أحمد عبيد» تم الكشف عن مخطوطات نادرة وثمينة مثل «رسالة الملائكة» للمعري كما تم التعريف والتقديم لاهم الكتب:

في التاريخ: كما في تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر وقد عمل على تحقيقه ونشره بعد بحث طويل عن الاجزاء المفقودة بالاستعانة بالمهتمين به من عرب ومستشرقين.

وفي الموسوعات: كما في موسوعة الاعلام للزركلي وقد صدرت منها عدة اجزاء **وفي الشعر**: وقد اولاه اهتماماً خاصاً في كتابيه (مشاهير شعراء العصر) وفي (ذكرى الشاعرين) أي شوقي وحافظ عام ١٩٣٣ وقد نال هذا الكتاب خطوة كبيرة لانه كان سباقاً للاحتفاء بهذين الشاعرين وجمع اشعارهما حتى المجهولة منها للقراء وذلك قبل ان يهتم بهما بلدهما الاصلي مصر. واذا كان لنا ان نقول كلمة في هذا الصدد فاننا نعيد ما اوردته مجلة المقتطف في العام نفسه.

(غير ان هذا العالم العربي قد ابتلي بالتقصير في تاريخ دوله وآدابه وبالنكول عن الاغراض السامية التي كان آباءهم يتبادرون اليها تبادر الجياد في حفلة السباق، ومع هذا فشكرنا للاستاذ عبيد «تقول المقتطف» الذي جمع ما كتب عن هذين الفحلين العظيمين لا يقدر اذا قيس بأسفنا لهذا الصمت الذي اعقب وفاتهما. وعمل الاخ عبيد قد جعلنا نشعر بان الامة العربية التي مزق الاستعمار اوصالها بدسيسة العصبيات من فرعونية وآشورية وبربرية وفينيقية قد بقي فيها ذلك الوفاء الذي امتازت به على تطاول الدهور).

ونحن نضيف لما قالته المقتطف منذ عام ١٩٣٣ انه الوفاء للعروبة... الوفاء للتراث... الوفاء للاصالة والتاريخ كما الوفاء للاسلام العظيم الذي شمل كل ذلك.

وهكذا سارت حياة هذا الرجل المديدة... قسر الظروف ورغم الشروط: دأب وجهد مستمران... وبحث دائم لا يتعب عن نفائس التراث وكنوزه من اخراجه لامية (ابن الوردي) للنور في بداية رحلته الشاقة الطويلة حتى آخر الابيات الشعرية التي ختم بها حياته. وفي كل ذلك كان ينطلق من ايمانه العميق بوحدة هذه الامة لغة وتراثاً ووجداناً ومصيراً لا يفرق بين قطر وآخر ساعياً بكل ما لديه لاعادة بناء هذه الوحدة هدفاً ونقداً واساساً لبناء حضاري متين وجديد. وليس كالبرهان اقدر على الاقناع وها هو رصيده الضخم اكبر برهان... وها نحن مقتنعون انه قدم الكثير على الطريق الصعبة الطويلة.

وانهـا لطريق واحدة مهما تعددت السبل اليها أو الوسائل ومهما اختلفت الاحوال. الطريق التي قال في صددها محمد كرد علي بان الاستاذ عبيد (اثبت بما نشر من تركة السلف الصالح حتى الآن انه سائر على الطريقة العصرية في نشر كتب الادب والتاريخ يخدمها ويعلق عليها ويشفعها بفهارس كثيرة تفتح مخابئها وتجلي مغالقها فدل على ذوق في النشر ضاهى به علماء المشرقيات في تدقيقهم).

كما قال عنها عيسى اسكندر المعلوف بانها (خطة جديدة في التأليف والجمع نود ان يسير عليها ادباء العصر والمؤلفون عندنا لما لها من الشأن الكبير في عالم التصنيف).

ولا شك ان الذين سيسلكون هذه الطريق الآن سيزودون بمعارف وطرق حديثة... وستكون لهم وسائل معاصرة للكشف والبحث... وسيجدون في العلم ونقنياته من افلام وثائقية ودقة وسرعة تسجيليتين ما يوفر عليهم الكثير من الجهد والعناء. كما وان اتصال العالم العصري بعضه ببعض ومعرفة ما يملك كل بلد من مخطوطات وآثار مطبوعة أو مكتوبة أو مرقومة سيكون عوناً للباحث والدارس ليغدو بحثه كاملاً ودراسته علمية موضوعية.

وليست المقارنة واردة هنا... في الدرجة لا في النوعية. والذهن يسبق قبل المقارنة الى تلك الخطى الصعبه التي شقت الطرقات الوعرة سيراً على الاقدام حتى دميت ولو ان هذه الطرقات اصبحت الآن معبدة واسعة تتسابق فيها عجلات السيارات. والفضل ابداً يعود للرواد. ولكل مجال (رواده) الذين يقترن اسمهم دائماً بالمراحل العسيرة... وهي وسامهم الذي استحقوه... ومجدهم الذي بالعرق والجهد بنوه.

رحم الله امين التراث «أحمد عبيد» فقد كان رائداً واضاف الى كل ذلك شرف الامانة... وصدق الايمان.

الاديبة السيدة قمر كيلاني
عن اتحاد الكتاب العرب

من تقاويم أحمد عبيد

قال خير الدين الزركلي تحت عنوان «رمز الحياة»:

الضحايا رمز الحياة ومعنى
وثبات الأقوام في الأوجال
ليس من مات في ظلال المقاصد
وكمن مات في ظلال العوالي
وجسوم الأحرار ترخص في الرو
ح واما نفوسهم فغوالي

قال عباس محمود العقاد يصف «الصيف» بقوله:

لو كانت المواسم اشخاصاً توصف بالعقل لما تخيلت الصيف إلا إنساناً غلب عليه النزق ولكته الرعونة، فهو لا يرضيك ولا ترضيه إلا باحتمال اذاه.

ولا احسب ان حرباً قامت في العالم أو ثورة تضرمت فيه خلاق موسم غير موسم الصيف.

فالصيف يعين على الرعونة والنزق ويصلح للحرب والفتنة ويدو اليهما.

كلمة أصدقاء الفقيد لشاعر دمشق

الأستاذ: سليم الزركلي (1)

هـذه كلمة هامشيّة، لا تقدِّم ولا تؤخِّر، أقدِّمها وفاءً لصديق، وتبياناً لحقيقة انسان.. اذا خفيت عن مدارك بعض الناس، فانها حقيقة ساطعة، لا يخطئها التقدير، ولا يغيبها التواضع، وهي دائماً وابداً موضع رعاية الله، جلَّ شأنه. وصلّى الله على محمَّد رسول الله حيث يقول **﴿خيرُكُمْ مَنْ طَالَ أَجَلُهُ وحَسُنَ عَمَلُهُ﴾**.

فما هو الرأي الذي استطيع ان اضعه بين يديّ كتابك «أمين التُّراث العربي»، وقد وفّيت الموضوع حقَّه وفاءً لوالدك الكريم، الصديق الصادق لكلِّ مَنْ عرف مِن ابناء الاقطار العربية، بلده القطر العربي السوري، الذي احتضنه منذ نعومة اظافره، بالرعاية وحسن التنشئة؛ لانّ الانسان، أي انسان، هو غرس بيئته وموطنه. فلا بدَّ ان ينشأ والدك في احضان الطبيعة الدمشقية وفي رحاب الايمان الذي تغلغل في عروق كلِّ عربي مسلم، ينفحه بعطور التقوى والصلاح، ويمنحه القدرة على استنبات بذور الاصلاح في شتى مناحيه...

ناهيك بتلك الروح المتطلعة الى الاستزادة بخير ما يقرأ، وبخير ما يدّخر، فيشبّ والخواطر الخلقية والقومية تتسابق اليه، لتكون في مطاوي معارفه.. في جميع مراحل حياته، ويكون بهذا القلم الذي يسطّر ما يملأ القلوب إعجاباً، والنفوس طرباً، وهو مطمئن في تلافيف العزلة والتواضع، من غير ضجَّة يثيرها، أو ادِّعاء يصطنعه ليراه الناس ويحسّوا بوجوده.

لقد عاش بين الكتب، وفي حزائنها المتفرِّقة هنا وهناك، يقطف ازهى ما فيها من نضارات، وينشر أزكى ما فيها من معارف، ويبسُطها، ويبسِّطها لكلِّ متطلِّع الى المعرفة، ولكلِّ متلهِّف الى اكتناه اسرار العلوم التي خفيت عنه. فكان بذلك، المرشد الى النور في مجاهل الظلام، والناصح الامين في الدلالة على الخير العميم، القابع في بطون الكتب، وزوايا العرفان...

عاش للادب البليغ، ولارباب الادب الرفيع، يأخذ ممّا أثَّلوا، ويعطي لمن أمَّلوا. والخير كلّ الخير فيما يقدِّم من معونة، يراها واجباً عليه، لكلّ من ارادها عنده. وما عرفت انه ضنَّ يوماً بذخر ادَّخره، أو قنية اقتناها.. بعد جهد جهيد. فكأنّه حارس وقف، أو امين مؤتمن.. لا يمنُّ ولا يستأثر. كلّ ما بين يديه موقوف لناس، يغرفون أنّى شاءوا، ويقبسون حيث يُعْوِزُهم القبس؛ فكان مصباحاً لا ينطفىء، ونبراساً لا ينضُب. هو حاضرٌ لكلِّ قاصد، باذلٌ لكلِّ طالب، بضاعته العلم والمعرفة.. وما حجزها دون أحد. فأفاد من سعيه كلُّ ساع، واستفاد من عونه كلُّ مستعين.. ويهشُّ ويبشُّ للقريب والغريب على حدٍّ سواء...

لقد بذل الكثير من الجهد والمال في سبيل المعرفة، ومن أجل الناس. جزاه الله خير الجزاء، وأجزل ثوابه، وأحـ[illegible] عطاءه.. وما كان ما أعطى بالنذر اليسير، وما كان لتحيط فعا[illegible] صفحات وصفحات.. يسوِّدُها محبّوه، وعارفو فضله. وما [illegible]ان تواضعه وإيثاره ليغيِّبه عن العين وعن القلب. وحسبه من رضا الله وتوفيقه، ان الهمك تعريفه للناس بهذا الكتاب، وفاءً لحقِّ الأُبوَّة، ولحقِّ الصداقة.. والفضل يعرفه ذووه، ولا أزيدُ..».

سليم الزركلي

(1) انتقل الى رحمة الله تعالى يوم ١٠/ ١١/ ١٤٠٩ هـ = ١٣/ ٦/ ١٩٨٩ م.

سلامٌ عليك

هَرَعْتُ أُلَبّي في المساءِ نِداكـا   وأروي حياتـي من نديَّ رِمَاكـا
وأجعـلُ من أزهـارِ حُبِّـكَ جَنَّـةً   وأنشُقُ من طِيْبِ الـوجـودِ هَواكا
وأنهلُ من نَبْعِ الوصالِ سَعادَةً   وأُنـعِشُ قلبي من هَواءِ سَمَاكا
وأرهَنُ نفسي كي أراكَ مُنَعَّماً   وأبـذلُ روحي في سبيل هَنـاك
وأخـدِمُ كلَّ الأهـلِ ، فيكَ مَبَرَّةً ،   وفيهم هَوًى.. حتّى تقولُ كَفاكا
وأجمَـعُ من أشتاتِ فِكْرِكَ مَوْرداً   يُسـاعـدُني في أنْ أُتِمَّ خُطاكا
وأُنْعِمُ أبصاري وأُذكي بَصيرَتي   بزادٍ منَ الرُّؤيا وزادِ هُداكا
فَتَنْظِمُ عينُ الزَّهْوِ فيكَ مَلاحماً   يَبُذُّ بها كلَّ البُحورِ مَداكا
وأدَّخِرُ الذكرىٰ ليومٍ مُقَدَّرٍ   أكـونُ وحيداً فيهِ دونَ سَناكا
مَلَكْتَ سَوادَ القلبِ منّي وبَهجتي   وكلُّ سُروري كانَ حين أراكا

زَرَعْتَ تُراثَ العُرْبَ نوراً بِمُهجتي   وأهديتَ لي كَنْزاً جَناهُ عَطاكا
وتَوَّجْتَني نَعْتاً أثارَ تواضُعي   بأنّي أنا عيناكَ بل وَيَداكا
وخِلٌّ وفيٌّ مِن جُذورٍ أصيلةٍ   ونَسلِ أَبِيٍّ لن يَضِلَّ مُناكا
فصرتُ قوياً في حِبالِ عُروبَتي   وصرتُ أبِيّاً من خِلالِ إِباكا

هَرَعْتُ أُلبّي ما استطعتُ كَعادَتي   لأَجْلُوَ أمراً قد يكونُ عَراكا
فلَمْ أَرَ شيئاً منكَ غيرَ غِلالَةٍ   تُغَطّي فِراشَ المَوتِ قُربَ رِداكا
فقلتُ لنفسي - والدُّموعُ غزيرةٌ ،   وكنتَ صباحاً في جميلِ حُلاكا -
أأسعى بشَوقٍ كي أراكَ فألتقي   فراغاً.. ، وصَمتاً ليسَ فيهِ صَداكا؟
وثَوباً عزيزاً قد أواكَ نسيجُهُ   فَعَطَّرْتَهُ طِيْباً حَواهُ بَهاكا؟

وفَـرْشٌ إذا ما فَاهَ يومـاً بِحِـسِّـهِ
لأفـصَـحَ عن بِرٍّ يُنيرُ ثَرَاكـا؟

إلهي . . أحقاً ما شَهِدْتُ وما جرىٰ؟
وكيف؟ . . . ومـاذا بينَ هذا وذاكا؟

فِراشٌ وثَـوبٌ كان بينَ كِليهِـمـا
صِلاتٌ منَ الأنفاسِ فيما كَسَاكا

أحـاطـاكَ مثلي كالنَّسيم بِزَهـرةٍ
وكـالـدِّرع إنْ شَاءَ البلاءُ أذاكا

وكنتَ مريضـاً . . في عَنَـاءٍ وغَفـوَةٍ
وكُـنـتُ جَلوداً أستَميتُ فِداكا

وأوقَفتُ جُهـدي بل روحي وراحتي
وكـلَّ دَواءٍ في سبيلِ شِفـاكـا

ولـم أَدْرِ أنَّ الـرُّزْءَ قد حلَّ كلُّهُ
وأنَّ الـرَّدى أبْـراكَ قبـلَ دَواكـا

دَعَـوكَ أميـنـاً «لـلتُّـراثِ» وأهـلِهِ
فأصبحتَ منـه الآنَ حيثُ دَعَـاكـا

سَلامٌ علىٰ رُوحِ الحبيبِ ورحمـةٌ
سَلامٌ علىٰ دهـرٍ عَراهُ جَفـاكـا

سَلامٌ علىٰ الأفـراحِ بَعدَكَ يا أبي
فليسَ بِقَـلبـي ذَرَّةٌ لِسِـوَاكـا

زاهر أحمد عبيد

من تقاويم أحمد عبيد

وقال صادق الرافعي يصف «المصلح» :

«ليس المصلح من استطاع أن يفسد عمل التاريخ ، فهذا سهل ميسور حتى للحمقى ، ومن المصلح من لم يستطع التاريخ أن يفسد عمله من بعده .

وجاء في دائرة المعارف البريطانية في وصف محمد ﷺ :

لقد حقق محمد النجاح الذي لم ينل مثله نبي ولا مصلح ديني ، في أي زمن من الازمنة .

●● ومما جاء في تقويم احمد عبيد من حكم وادب واثر الغرب ما قاله :

● برنارد شعر يصف محمد ﷺ :

ان محمـداً يجب ان يدعى منقذ الانسانية . وانني أعتقد بانه لو تولى رجل مثله زعامة العالم الحديث، لنجح في حل مشاكله بطريقة تجلب الى العالم السلام والسعادة .

ان محمـداً هو اكمل البشر من الغابرين والحاضرين، ولا يتصور وجود مثله في اللاحق .

إلى والدي

شعر / إبن الفقيد / الأستاذ : زاهر عبيد

يارَبِّ لَطِّفْ لنا الآلامَ والحُرقا
وامْنَحْ «عُبَيْدَكَ» في جَنَّاتك الغَدَقا
مُصيبةُ اليومِ قد هدَّتْ مضاجعَنا
ويلٌ يُزعْزعُ قلبَ الجَلْدِ والأُفُقا
خَلَّفتَنا وديارُ العزِّ موحِشةٌ
وكلُّنا تائهٌ .. في اليُتْمِ قد فَرِقا
ما للمَعاني .. على مافي ذَخيرَتِها
تَخُونُني .. وشُعوري يُحرِقُ الوَرَقا؟
مَن في القِفارِ تُراني أستضيءُ بهِ
يا مَشعَلي .. وأبي .. ياأنبلَ الرُّفقا؟
فارقْتَ رَبْعَكَ والأيَّامُ مُجْدِبَةٌ
منَ الوفاءِ .. وكنتَ النَّبعَ والوَدَقا[1]
ماذا أقولُ بهذا اليومِ يا أَبتي
والخَطبُ برَّحني .. والحُزنُ قد خَنَقا؟

لَئِنْ تمكَّنْتُ من عَدِّ النُّجوم جَمِيْ
ـعِها بكلِّ السَّماواتِ العُلى حَذِقا[2]

أو أنَّـني لَكَ قد أحـصَـيْتُ كلَّ تُرا
بِ الكَـونِ. . ذرّاتِـهِ والـزَّرْعَ والـوَرَقا

فَسوف تُعجِزُني فيكَ الشَّمائلُ عن
إحصائهـا. . وتُكِلُّ الحَصْرَ والنَّسَقـا

وسـوف أُخْـفِـقُ في التعبـير عن أَلَمي
فالقَهْـرُ فيَّ يجرُّ العَجْـزَ والـرَّهَقا[٣]

والجـرحُ يؤلمُني. . والـصَّـبْرُ يَخْذُلُني
والـشَّـوقُ يُزهِقُ في أعـماقيَ العُمُقـا

حتّى القـوافي وأشعـارُ الهوىٰ لَبِسَتْ
ثَوبَ الحِدادِ. . وراحت تفقدُ اللَّبَقا[٤]

غابَ (الضِّيـاءُ) فَتـاهَ النَّظْمُ في حُجُبٍ
وضَـاعَ مافي بُحورِ الشِّعرِ بل غَرِقـا

فالعصرُ ينـدُبُ في الأعـلامِ أقـدَمَهمْ
مَنْحـاً وصِـدقـاً وإخـلاصـاً ومُعْتَنَقـا

والشِّعـرُ يبكي فقيـدَ الشِّعْرِ في قَلَقٍ
والعِلْمُ أضحى حَبِيْسَ السّوقِ مُرْتَزِقا

تِسْعـونَ يومـاً لَوِ اسْتُبْقيتَ لاخْتَتَمْتَ
قرنـاً مِنَ العُمـرِ في الأعمـالِ قد نَطَقا

* * *

أَسَّسْـتَ مكتبـةً[٥] بالعِلمِ قد عَبِقَتْ
وبـاركَ الله في رُوّادِهـا وسَـقـى

لَمْ تَألُ شَدًّا لأَزْرِ اللائذيـنَ بها
بل زِدتَهم من رَشادِ النَّهْجِ مُرْتَفِقا
مِن عالِمٍ يَقِظٍ أو طالِبٍ نَهِمٍ
أو ثائرٍ في سبيلِ الحَقِّ قد صَدَقا
ومِن كِبارِ رِجالاتِ العُروبَةِ والنْـ
ـنُهى، ومَن قاوَمَ الأعداءَ والزَّلَقا[٦]
ومِنْ ذَوي شُهداءِ الشَّامِ مَن مُلِئَتْ
لهُ الأيادي بِجُودِ الدَّعمِ مُتَّسِقا
سَبَقْتَ (بالفعلِ) ماأعلَنْتَ من كَلِمٍ[٧]
ولم تُراعِ سوى القُرآنِ مُنطَلَقا
فطِبتَ للقومِ دِرعاً أو بَسطْتَ يَداً
وَجُدْتَ فى البَذلِ لامَنّاً ولا نَزَقا
وكانَ قصدُكَ في (الأفعالِ) مُنحصراً
بكلِّ ماقد يقي الأجيالَ والوُثُقا[٨]
فلا الدَّراهِمُ قد أغْرَتْكَ في طَمَعٍ
ولا جُحودُ الوَرى أبدى بِكَ الأَرَقا
ولن يَضيعَ الجَدا يا والدي عَبَثاً
لأنَّ دَربَكَ قد أعطى لنا الدَّفَقا:[٩]
نَهجاً سَديداً وصَرحاً صامِداً أبَداً
في القلبِ رُوحاً ولِلأحفادِ مُؤتَلَقا
والعَهْدُ يَسري كما قد كنتَ تَلزَمُهُ
وكلُّنا اليومَ جِسْمٌ يُكمِلُ الطُّرُقا

* * *

أَجَـلَّ في شِعـرِكَ الـنُّقَّـادُ ماحَسُنَتْ
به الحَماسَةُ(١٠) . . والإتقانُ قد وَرِقا(١١)

مِنْ قائلٍ(١٢) إنَّ فيـهِ البُكْمَ قد نَطَقوا
أو شاهـدٍ(١٣) لهُ بالايجـازِ ماعَـبِقـا

وَجِهْبِـذٍ(١٤) أكَّـدَ الإعجـازَ فيه ولم
يَنْسَ الفَصـاحـةَ وللبُنيانَ والحَـذَقا

وكـنـتَ ياأَبَـتي تدعـو بلا كَلَلٍ
لوَحْدَةِ العُرْب . . تُعطي الجُهدَ والعَرَقا

قُرابَـةَ القَـرْنِ عِشتَ الخَـطْبَ في كَمَدٍ
في كلِّ يومٍ ترى إدبـارَ مابَـرَقـا

أذعتَ شِعـراً يصوغُ النُّصحَ مُتَّقِـداً
بحُـبِّ قومِـكَ لافَخـراً ولا مَلَقـا

حاورتَ فيـهِ جميـعَ النَّـاسِ قاطبَةً
وكـلَّ مُستَعْمِرٍ عاتٍ . . وإنْ حَنِقـا

لم تُخْفِ داءً بهم إلا وَضَـعْـتَ لهُ
إكْسيرَهُ من شَغـافِ القلبِ مُنطَلِقا

ومِن تجارِبَ في التَّـاريـخِ نَقـرؤهـا
كانت لأجـدادنـا مِن خَيرِ ماطُرِقـا(١٥)

لَمْ تخشَ في الصِّدقِ لومـاً أو مُخاصَمـةً
ومـا خَشيْتَ العِـدا يومـاً ولا وَبَقـا(١٦)

وَمُتَّ ياأَبَتي .. والقومُ في فُرَقٍ
وَوَحْدَةُ العُرْب لازالت كما سَبَقا
والقدسُ تبكي صلاحَ الدِّينِ في زَمَنٍ
لارُوحَ فيه ولا إحساسَ .. لاقَلَقا
فاسْأَلْ لنا اللهَ مِنْ ذا الخَطْبِ مُفْترجاً
ليصبحَ الشَّمْلُ ضدَّ الشرِّ مُتَّفِقا

* * *

مافي الوِراقَةِ أو في الرَّقِّ من أَثَرٍ
إلا وغُصْتَ بهِ الأعماقَ مُنْتَشِقا(١٧)
أَحْيَيْتَ منهُ تُراثَ العُرْبِ أنفَسَهُ
وصُنْتَهُ من ضَياعٍ كان مُحْتَدِقا
فكم نَشَرتَ .. وكم حَقَّقْتَ مِنْ كُتُبِ الـ
أُلَى .. وأرهَقْتَ فيها القلبَ والحَدَقا
وكم بذلتَ .. لتبقى في مَواطِنها
وكم سَهِدْتَ على أشجانها(١٨) قَلِقا

* * *

أفنيْتَ عُمركَ في الآثار تَخْدُمُها
وفي المَطابعِ منكَ العِلْمُ ما نَفَقا(١٩)
خَزائِنُ الشَّامِ قد أغْنيتَها دُرَراً
تحوي بطيّاتِها مجداً ومُرتَفَقا(٢٠)

وَمجْمَـعُ العِلْمِ مِنْ أيـامِ مَوْلِـدِهِ[٢١]
أوهَـبْتـهُ مَدداً في حِرْصِ مَنْ عَشِقـا

والـظَّاهـرِيَّـةُ[٢٢] قد زَوَّدْتهـا بِدَمٍ
تفنى الأنـامُ ويبقى منـهُ مُنْـدَفقَا[٢٣]

وكـم كتـابٍ ثمـينٍ كنتَ تُنْقِـذُهُ
لولاكَ ما انْفَـكَّ مِن أَسْرٍ ومـا انْعَتَقـا

فلا المَعَـرّي سَينْسى ماصَنَعْتَ لهُ[٢٤]
وللمـلائِكِ[٢٥] إذْ أهـدَيتَهـا الفَلَقـا[٢٦]

ولا دمشـقُ سَتَنْسَى خِدمَـةً عَظُمَتْ
في ابْنِ العَسـاكِرِ[٢٧] إذْ ألبستَهُ الألَقا[٢٨]

ومِنْ أميرِ بَيـانِ العُـرْبِ[٢٩] فيكَ شَهَا
دَةٌ سَتُحْيِيكَ في التَّاريخِ .. ماصَدَقا

تقـولُ إنَّـكَ في الـوُرّاقِ أنْـدَرهُـمْ
في الدَّهْرِ عِلْماً .. وللكُتَّابِ قد رَتَقا[٣٠]

أمَّـا الـزِّرِكْـليْ (صَديقُ العُمْرِ والأدبِ
مَنْ يرتدي الآن في اسْتِقْبالِكَ الشَّفَقا)

فقـد أصرَّ على ذِكْـرِ الحـقيـقـةِ تأْ
كِيْداً لجُهْدِكَ في الأعلامِ[٣١] .. وانْطَلَقا

فَفي الـتَّراجِمِ كنتَ الغـوْثَ في حِقَبٍ
وفي المَصـادِرِ والتَّصْحيـحِ مُنْبَثِقـا[٣٢]

* * *

للضَّـادِ كنتَ لدى المُسْتَشرِقـينَ[٣٣] أَبـاً

وللعُـروبَـةِ والتَّـاريخِ مُنغَـدَقـا[٣٤]

وكم تَواضَعْتَ واسْمُ الشَّـامِ مُرْتَفِقـاً

[٣٥] — [٣٨]

على يَدَيـكَ .. يَحُوزُ السَّبْقَ والعَبَقـا

جَمَعْتَ في شُعَـراءِ العَصْرِ[٣٥] أَشْهـرَهُمْ

وزِدْتَهُمْ من ذُيـوعِ الصِّيْتِ ما انْغلَقـا

وبِـاسْمِهـا قُمْتَ في حفْظِ السَّنـا رَطِباً

للمَنْفَلُوطي[٣٦] .. ومازالَ الصَّدى أَلِقا

وصُنْتَ شِعـرَ أَميرِ الشِّعْـرِ ضائِعَـهُ[٣٧]

وشـاعِـرُ النِّيْـلِ كالشَّـوقيِّ ما افْـتَرَقـا

وقـد أَجَدْتَ بذكرى الشَّاعِرَيْنِ[٣٨] كَما

جَنَيْتَ للشَّـام .. إعجـابـاً ومُسْتَبـقـا

ولـن أَبـوحَ بما أَسْرَرتَ مِن عَمـلٍ

جَمٍّ بِصَـمـتٍ بَليـغٍ ظَلَّ مُنْغَـلِقـا

فالقَصْـدُ عنـدَكَ أن يبقى بلا صَخَبٍ

وأنْ يَعُـمَّ الجَنى كلَّ الـدُّنـا أَنِقـا[٣٩]

إنَّ الـدِّعـايَـةَ تُضْمي[٤٠] وعيَ طالِبِهـا

والضَّـوءُ يُفسِـدُ في الأبصـارِ إنْ عَلِقـا

* * *

خُضْـتَ الـعُلومَ مُحِبّـاً واعِـيـاً نَهِماً

وصَحبُـكَ الغُـرُّ حتى فارَقوا الرَّمَقا[٤١]

فصِرتَ في زَمنٍ ماكنتَ تعرِفُهُ

مَشارقُ النُّورِ فيهِ أصبحتْ غسَقا[٤٢]

فكم أرِقْتَ على بعضِ الورى عَجِباً

وكم حَرَصْتَ على إرشادِهم وَمِقا[٤٣]

وإنْ تراءى لك الماضي وصُحْبَتُهُ

حَزِنْتَ أنَّكَ لم تُلحَقْ بِمَنْ سَبَقا

فَهاكَ ماشِئْتَهُ في جَنَّةٍ خَلَصَتْ

للصَّالحينَ إذَنْ .. ياخَيْرَ مَنْ لَحِقا

وَطِبْ لِقاءً بكلِّ السَّالفينَ غَداً

وَدَعْ لنا العصرَ نطويهِ كما اتَّفَقا

فَليسَ بَعدَكَ في الآنامِ مُعْتَمَدُ

نلقى لديهِ التُّراثَ الحَقَّ والخُلُقا

وسوفَ تبقى بأسْفارِ الخُلودِ (أميـ

ـناً للتُّراثِ) .. وللأوطان قد خُلِقا

فاظْفَر بِجَنَّةِ رَبِّ العالمينَ جَنًى

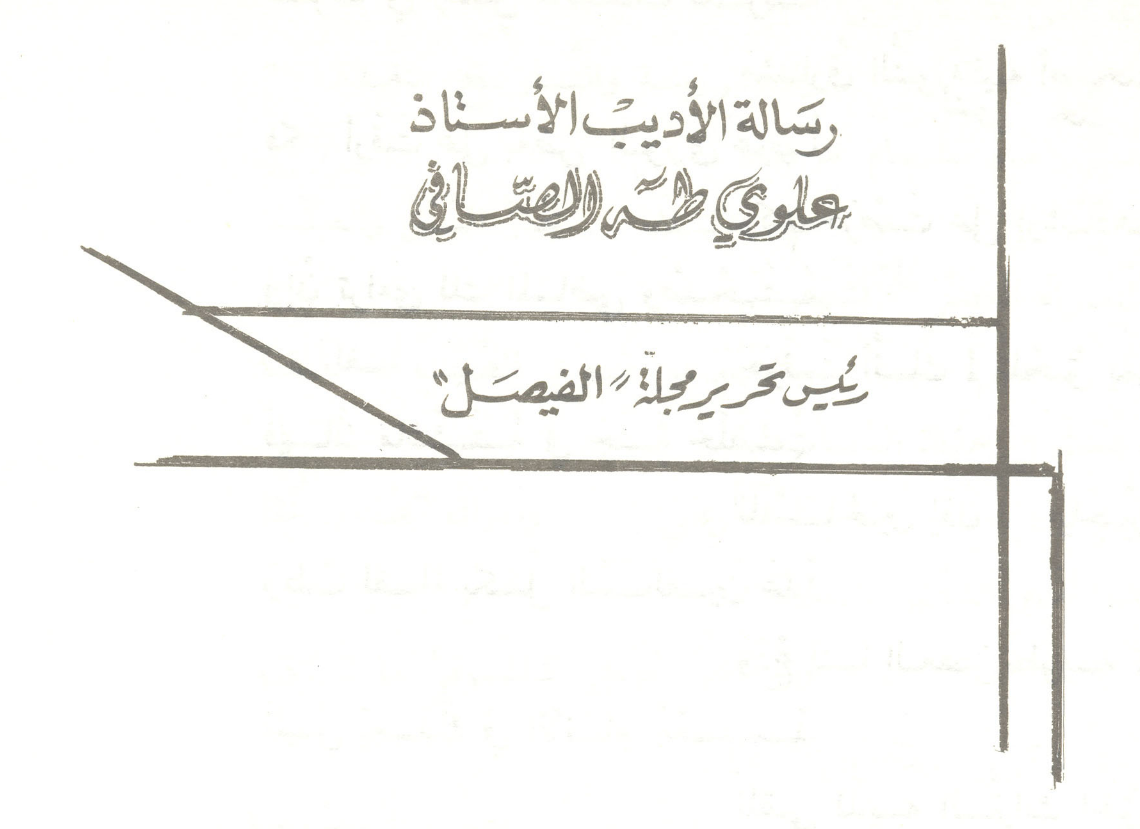
وعُدْ لأمِّي قريراً عند مَنْ خَلَقا

جَزاكُما اللهُ عَنَّا كلَّ مَغْفِرةٍ

وَخَصَّ رُوحَيْكُما بِرّاً ومُنْعَتَقا

زاهر أحمد عبيد

٦/ ٨/ ١٤٠٩ = ١٣/ ٣/ ١٩٨٩



أخي الكريم الاستاذ: زاهر أحمد عبيد المحترم

سورية ـ دمشق ـ ص. ب ٣٧٨٠

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد

تلقيت رسالتكم بتاريخ ٤/ ١٠/ ١٤٠٩ هـ الموافق ٩/ ٥/ ١٩٨٩ م التي حملت إليّ نبأ وفاة والدكم ذلك الرجل العظيم الذي كَرِهَ الشهرة.. وابتعد عن الأضواء تفرغّاً لخدمة أَدبِ أمته وتراثها.. زاهداً في كل ما تزخر به هذه الارض من جاه ومال مزيفين.

لقد شعرت بالحزن يأكل حُشاشة كبدي.. والأسى يسكن نفسي.. والألم يقتات من مشاعري حين اطّلعت على رسالتك.. وشعرت أن صَرْحاً كبيراً من صروح العلم والمعرفة تهاوى.. وأن نجماً من نجوم الفن والأدب والشعر والمسرح قد افَلَ فجأة دون ضجة أو ضجيج.. ذهب لملاقاة ربه في جنات الخلد.. ذلكم هو والد الجميع البحاثة المحقق «أحمد عبيد» الذي كان يعمل في صمت دون أن يعلم عنه أحد.. ودون أن يلهث وراء وسائل الاعلام كما تلهث زعانف أدب العصر لمجرد قصيدةٍ تافهة لا تعرف بدايتها من نهايتها.

وبكل ما يجيش داخل نفسي من أطنان الحزن أشارككم العزاء أهلاً وقرّاءً وعلماء في سورية، بل في البلاد العربية متمنياً للفقيد واسع رحمته.. و«إنّا لله وإنّا إليه راجعون» وكما يقول الشاعر:

والموت نقاد على كفه
جواهر يختار منها الجياد

وكان والدك من جياد الجواهر وثمينها ونفيسها.

وتقبلوا تحياتي،،،

اخوكم المحب

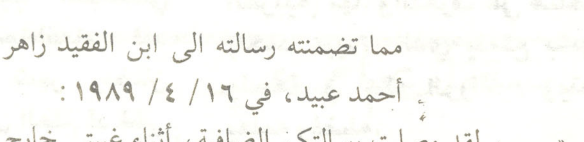
رئيس تحرير مجلة الفيصل

علوي طه الصافي

رسالة الشيخ الأستاذ
عبد العزيز الرفاعي

من الرياض





مما تضمنته رسالته الى ابن الفقيد زاهر أحمد عبيد، في ١٦/ ٤/ ١٩٨٩ :

«. . .، لقد وصلت رسالتكم الضافية، أثناء غيبتي خارج المملكة، فلم يقدّر لي أن ألتقي بحاملها الكريم. وكانت على ما يبدو، على موعد حزين عن خبر انتقال الوالد الجليل إلى رحمة الله الواسعة، في جنّات العلا إن شاء الله. وقد تألمت للخبر، وشعرت بجسيم الخسارة في هذا الرجل الفذ، الذي طوى حياته على التواضع ونكران الذات. تغمّده الله بفيض غفرانه، وأحسن لكم فيه العزاء، وجعلكم خير خلف له، . . .، .

وعسى أن كتابكم عن الوالد الكريم قد نجز طبعه، فان تواضعه الجم، قد حجب سيرته عن جمهور المثقفين، إلا الخاصة الذين عرفوا مكانته، وحجمه الحقيقي في دنيا الأدب والشعر والتحقيق، . . .

أبركم الله بالبنين البررة، كما بررتم بأبيكم العظيم، وحيّاكم الله خلفاً طيّباً من شجرة طيبة مباركة، . . .».

أحمد عبيد

كان نجماً في سماء الوراقة

بقلم الأستاذ: عبد العزيز الرفاعي

ما كنت أظن، عندما كتبت ما كتبت في يوميات سابقة عن الاستاذ «احمد عبيد» الاديب الدمشقي المعمر، انني كنت كانما انعاه .. فقد بلغني، في اوائل شهر رمضان المبارك، ان هذا الرجل العَلَمَ قد قضى نحبه في شهر شعبان الماضي ..

لقد شعرت بمدى الخسارة فيه، فقد كان الرجل، يرحمه الله من بقية الناس، خلقا ودينا، وعلما، وشعرا، وتحقيقا ..

لقد عاش ما يقرب من القرن .. فملأ هذه المساحة الزمنية عرضا وطولا .. عكف على الكتب منذ صباه، يقراها ويبيعها، ويغرم بمخطوطها ومطبوعها، ويحيط باخبارها، حتى لقد غدا فيها من كبار الخبراء، واصبح مرجعا يعتمد عليه ويعتد برايه .. وهو لايضن بنصيحة ولا راي يسديهما متواضعا مخلصا صادقا سمحا .

وعن هذا الطريق .. اعني طريق الكتب، عرفت الرجل .. فقد كنت منذ سنوات تزيد عن العشرين .. في زيارة خاطفة لدمشق .. وكان في مقدمة اهدافي، زيارة (المكتبة العربية) بها، والتعرف على صاحبها (احمد عبيد)، الذي يتمتع بشهرة واسعة في عالم الوراقة، ويتميز بعلمه وفضله.

استقبلني الرجل ببشاشة وحفاوة، خاصة عندما علم انني صديق ابنه البكر الدكتور (ياسين عبيد) المقيم بالرياض .

وبالرغم من ان لقاءنا لم يطل الا لساعة او بعض الساعة، الا انني استفدت من علم الرجل، واستطاع ان يملأ نفسي اعجابا بسعة ثقافته الى رقيق اخلاقه ..

فمما يتصل بحديث التقويم[1] الذي كنت تحدثت عنه من قبل، علمت انه رحمه الله بدا في سنة ١٩١٧م باصدار «الروزنامة العربية» وهو اول تقويم يصدر في بلاد الشام، وقد اضطر الى ان يسميه بعد ذلك بالروزنامة العثمانية، خضوعا للظروف العثمانية التي كانت سائدة انذاك، وقد صدر عن المكتبة العربية بدمشق التي اسسها سنة ١٩٠٨م، وانضم اليه شقيقاه «محمد توفيق، و«حمدي عبيد» سنة ١٩٢٠م، ثم افترقا عنه سنة ١٩٦٤م وقد قضت السياسة العثمانية سنة ١٩١٧م ان يغير اسمها الى «المكتبة العثمانية» ففعل الى سنة ١٩١٩م، وكذلك كان الشان في «المفكرة العربية» التي بدا باصدارها سنة ١٩١٦م، وهي ايضا اول مفكرة من نوعها تصدر في بلاد الشام، وكانت تطبع من جزءين، الاول في مطلع السنة الميلادية، والآخر بمطلع السنة الهجرية، وحينما الغيت القوانين العثمانية في بلاد الشام اوائل سنة ١٩١٩م. اعاد الى «المكتبة العربية» اسمها الاصلي، وبادر صاحبها الى الغاء توزيع المفكرة والروزنامة واسرع بطبع كميات جديدة لعام ١٩١٩م باسم «المفكرة العربية» و«التقويم العربي» واضعا خلف اوراق التقويم منتخبات من الحكم والاشعار والفوائد، وهو [illegible] اول

من فكر بالاستفادة من الاوراق البيضاء خلف اوراق التقويم في البلاد العربية، وقد لقي تقويمه اقبالا كبيرا في انحاء العالم العربي، واخذت بعض التقاويم تحذو حذوه.

واحمد عبيد - رحمه الله - من اسرة دمشقية شهيرة، ينتهي نسبها الى الصحابي الجليل انس بن مالك، رضي الله عنه فهي اسرة انصارية خزرجية.

ولد الاستاذ «احمد عبيد» في شهر ذي الحجة سنة ١٣١٠هـ حزيران ١٨٩٢م.

له اهتمامات متعددة، فهو اديب، وشاعر، ومحقق، معني بالمخطوطات، ولكنه كان طوال حياته يتجنب الاضواء، ويؤثر العمل في صمت وتواضع لا يحب ان يلفت الانظار، مؤثرا ان يظل بين كتبه ومكتبته واوراقه.. اذا غدا الى عمله فهو بين الكتب في «المكتبة العربية».. واذا راح الى بيته فهو بينها ايضا في مكتبته الخاصة.. وظل ذلك دابه حتى قضى نحبه - يرحمه الله -.

وكان من بين اهتماماته المتعددة اشتراكه في النهضة المسرحية في سورية.

شهد له بالتفوق والاجادة ودقة البحث، مشاهير من ادباء عصره مثل: شكيب ارسلان، وخير الدين الزركلي، وشكري فيصل، وغيرهم.

ومن الذين لايملون ذكره، والثناء عليه الاستاذ الشيخ علي الطنطاوي، - حفظه الله -.

ان الاستاذ «احمد عبيد» مدرسة من الوراقين العلماء والادباء، الذين لم يعد يجود الزمان بمثلهم الا في ندرة نادرة، وان من حسن حظ هذا الرجل ان يكون له هذا الابن «زاهر» الذي عني بآثاره، وارخ لها، وترجم لوالده، وصلن آثاره، وخلد ذكره، جزاه الله خيرا.

من تقاويم أحمد عبيد

قال ارسطو:

اعلم ان الدنيا ربما اصيبت بغير حزم في الرأي، ولا فضل في الدين فان اصبت حاجتك منها وانت مخطىء وادبرت عنك وانت مصيب، فلا يستخضعك ذلك الى معاودتها ومجانبة الصواب.

جاء في تقويم احمد عبيد:

اذا قابلنا بين العرب والأمم الأوربية بدلاً من قياسهم بالأمم التي غابت عن مسرح العالم، امكننا ان نقول انهم ارقى من جميع امم المغرب التي عاشت قبل عصر النهضة اخلاقاً وثقافة، وان جامعات القرون الوسطى لم تعرف في قرون كثيرة مصدراً غير مؤلفاتهم ومناهجهم، وان اخلاقهم كانت افضل من اخلاق اجدادنا بمراحل.

عن سقراط:

شغل سقراط نفسه بمكارم الاخلاق حتى اصبح في هذا المجال اول من اثار مشكلة التعريف التام.

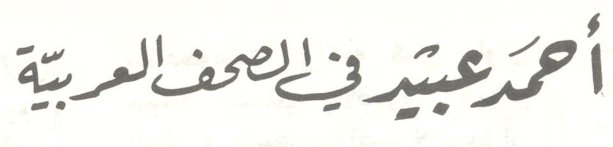
وعارض سقراط بقوة ظلم الطغاة كما عارض ظلم الشعب.

وقيل لسقراط أي السباع أحسن؟

فقال: المرأة.

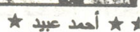
قال افلاطون:

«اصل الامر في المعيشة ان لا تنسى في طلب الحلال، وان تحسن التقدير فيما تنفق، فان اعظم الناس خطراً أحوجهم الى التدبير».



أحمد عبيد في الصحف العربية

"الفيصل"



★★ أحمد عبيد ★

العدد (١٥٠) ـ ذو الحجة ١٤٠٩ هـ ـ السنة الثالثة عشرة ـ تموز (يوليو) ١٩٨٩ م

احمد عبيد الى رحمة الله

انتقل إلى رحمة الله البحاثة الأديب الملقب بأمين التراث العربي الأستاذ العلامة « أحمد عبيد » (أبو ياسين) بن محمد بن حسن بن يوسف بن عُبَيْد بن سليمان (آغا) بن عبد الرحمن الخزرجي الأنصاري الدمشقي .. وذلك صباح يوم الاثنين ١٤٠٩/٨/٦هـ الموافق ١٣ (آذار) مارس ١٩٨٩م .

وعلامتنا الراحل من مواليد ١٣١٠/١٢/١٢هـ الموافق ٢٧ حزيران ١٨٩٢م بمدينة دمشق السورية .. تلقى دراسته في « الخجا » على يد سيدتين من بيت « النكَّاش » .. ثم توفى أبوه وهو في حدود الخامسة من عمره . فانتقل إلى « الكتَّاب » وحفظ القرآن الكريم .. ثم نال الشهادة الابتدائية في مدرسة خاصة .. فاز بجائزة الشعر بالمدرسة « الريحانية » وهو مازال غض الاهاب .. وقد لقي أستاذه وشيخه الشيخ العالم « محمد خير الطَّبَّاع » الذي كان يمده بالكتب والتوجيه .

وبعد رحيل هذا الشيخ .. انكب على مطالعة كتب التراث المخطوطة في مختلف مجالات المعرفة .. ثم درس في « المدرسة السلطانية » (مكتب عنبر) حتى وصل إلى أواخر المرحلة التي تؤهله للدخول إلى مدرسة الطب لكنه أستاء من طريقة تدريس الأتراك لأنهم كانوا يدرسون كل المواد بما فيها اللغة العربية التي أحبها وعشقها ، باللغة التركية .

جمع عدداً من الكتب ثم باعها .. ثم وجد مع الشيخ « الكلأس » مخطوطة « لامية ابن الوردي » لابن الملاح فاستعارها منه وطبعها وجلَّدها بنفسه . ثم منحه أخوه « سعيد » مكاناً وواجهة من محله الكبير لعرض وبيع مطبوعته وكتبه .. فكوَّن منها مكتبة أطلق عليها « المكتبة العربية بدمشق » .. وقد أولع بكتب التراث العربي فأصبح عالماً مشهوداً له في المخطوطات والمطبوعات العربية .. وسعى إلى نشرها وطباعتها فترة طويلة فأطلق عليه لقب « أمين التراث العربي » .. ويعد من أوائل ناشري وموزعي الكتب في البلاد العربية .. وأول من أصدر التقويم (الروزنامة) في سورية ، وظل ينشره سنوياً حتى وفاته .

اشترك في النهضة المسرحية في سورية .. ونشر مقالات في النقد الأدبي والمسرحي كما نشر شعره في الصحف والمجلات السورية واللبنانية والمصرية .. وقام برحلات طويلة الإقامة في هذه الأمصار .

وذاع صيته .. وتحول منزله إلى آخر حياته إلى ملتقى لطلاب العلم يستفيدون من علمه وخبرته من العرب والأجانب

وكان أول من نفَّذ مشروع إحياء التاريخ الإسلامي بنشر سير أعلامه وأبطاله .

وقد اعتذر عن طلب الأستاذ محمد كرد علي لانضمامه إلى المجمع العلمي العربي بدمشق معتكفاً للقراءة والاطلاع وخدمة التراث وطلاب العلم .

تحدث عنه وعن علمه الكثير من البارزين أمثال الأستاذ محمد كرد علي .. وعيسى اسكندر المعلوف .. ود . شكري فيصل .. والأستاذ الأديب السعودي عبد العزيز الرفاعي .

ألَّف وحقَّق وطبع (٣٦) كتاباً .. وقبل وفاته كان يعد لطباعة ٢٠ كتاباً .. وعشرة كتب مازالت مخطوطة .

كما تولى نشر (٦٤) كتاباً لغيره من المؤلفين على نفقته وإشرافه ، منها موسوعة « الأعلام » لخير الدين الزركلي في (١٣) مجلداً .. و« خطط الشام » لمحمد كرد علي .. في ستة أجزاء (ثلاثة مجلدات) وله تعليقات وتصحيحات كثيرة على عشرات الكتب المطبوعة وأضعافها على الكتب المخطوطة ..

وأسرة تحرير مجلة « الفيصل » التي أحزنها خبر وفاته لتتقدم بأصدق التعازي لأهله وذويه وقرائه راجية الله أن يتغمده بواسع رحمته لقاء ما قدَّم لأمته وبلاده .. وما ذلك على الله بعزيز .

وتقدير منها لمكانته تنشر في مكان آخر من هذا العدد (ص ١١٤) ثبتاً بآثاره المطبوعة .. والمخطوطة المنجزة .. وغير المنجزة لتعريف القارىء المعاصر بذلك العلم الكبير والبحاثة والمحقق وجهوده العظيمة .

وإلى جانب ذلك سوف تنشر دراسة عنه كتبها أحد طلابه وأصدقاء ابنه زاهر في أحد أعداد المجلة القادمة .. وقصيدة رثاء ابنه « زاهر » .. سائلين الله أن ينفع بعلمه الأمة والبلاد .. وأن يلقى ربه هانئاً مطمئناً في جنات الخلد .. « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

الفيصل العدد (١٥٠) ص ١١٩

أحمد عبيد
الساكن في كبد الشمس وقلب الحقيقة

بقلم الدكتور

رياض عواد

في كتابة سير العظماء والراحلين تنبيه للامة بأمجاد رجالها الخالدين الذين ساهموا في صنع أدبها وفنها وحضارتها وعملوا على رقيها الفكري والادبي، واننا عندما نسجل بفخر اعمال المرحوم /أحمد عبيد/ أمين التراث العربي. فانما نعبر بذلك عن جانب مهم من حياة هذا الانسان الذي رحل عنا قبل فترة وجيزة ليسكن في كبد الشمس بعد ان سكن في قلب الشعب...

و /أحمد عبيد/ بن حسن بن يوسف بن عبيد بن محمد سليمان /آغا/ بن عبد الرحمن الخزرجي الانصاري، الدمشقي الملقب /أبا ياسين/ من ذرية صاحب الرسول (ﷺ) أنس بن مالك، رضي الله عنه، ولد بدمشق ١٢/ ذي الحجة ١٣١٠ = ٢٧/ ٦/ ١٨٩٢ وانتقل الى رحمته تعالى يوم ٦/ شعبان ١٤٠٩ = ١٣/ ٣/ ١٩٨٩ ويحلو لي بين الحين والآخر أن أرجع الى مذكراتي، استعرض ما مر بي من احداث وتصرفات من الناس ومني، وأحاول أن ازن الامور بعيداً عن العواطف، فدفتر مذكراتي هو متنفسي، أسجل فيه في ذهني كل تجاربي واصداءها في نفسي، اصورها حارة نابضة بالحياة، اصور فيه كل ما اهاج اعماقي، وأثار تفكيري ورأيي الصريح في كل شيء...

والآن وعندما مسكت القلم وبدأت أكتب عن المرحوم /أحمد عبيد/ تذكرت هذا الانسان الكبير وقد زرته قبل حوالي العام برفقة صديقه /طلال حمدان/ حيث استقبلنا بابتسامته المعهودة وبدأ يقص علينا سِيَراً استحوذت على اعجابنا وتقديرنا بقدر اعجابنا وتقديرنا له رحمه الله فلقد اجتمعت عوامل كثيرة على تكوين شخصيته وابراز مؤهلاته، فهو دقيق الشعور، وذو حافظة عجيبة وخيال فسيح وحس مرهف، ل... ادبهم واقعهم وتصور مخيلتهم افكارهم بكل خطوطها والوانها وتحكي الجانب المهم من رحلة العمر عندهم دون زيادة أو نقصان. فذكريات الامس كانت عنوان حاضر هذا الانسان الجليل والفقيه الكبير، والمعروف عن /أمين التراث العربي/ رجل شريعة، فهو مجيد الحديث فيما يتعلق بالكتاب والسنة، فقهاً وتفسيراً وتأويلاً، ولكنه جمع إلى صنعته الدينية هذه ملكة أدبية فكان شاعراً فذاً ووراقاً يضرب بقلمه في أودية الفكر

المختلفة ويحلق بفنه في سماء الخيال الخصيب فهو الباحث وأحد اعلام النهضة العربية الادبية الحديثة، تفرغ للتراث وحقق عدداً كبيراً من المخطوطات التراثية، وألف عدداً من الكتب التي تناولت موضوعات شتى في الادب والفكر يقول عن ذلك: ـ في مقابلة مع الاسبوع الادبي ١٤٧ ٢٩/ ١٢/ ٨٨ [على الامة ان تقبض على تراثها المضيء أو ان تسعى الى نشره] ويقول ايضاً:

[الاهمية في تحقيق الكتب ان تصل النصوص للجيل الحاضر كما وضعها مؤلفوها].

فمهما اوتي الانسان من عبقرية فقد تجف نضارتها فيه ان لم يتعهدها بري المطالعة، أما المحقق الكبير /عبيد/ رحمه الله فقد كان يروي عبقريته الفذة وفلسفته النضرة بماء وفير فيه الطيبة ممزوجة بالمعرفة والنزاهة مقرونة بروائع الادب والعلم. هدفه في ذلك ان يضطلع بخدمة تراثه وماضيه عن طريق نشر الثقافة التراثية، ووسيلة الى ذلك الهدف ـ الرأي الحر والقلم النزيه ـ يقدم الى المتلهفين لانتاجه ثقافة عربية حقة مستمدة من اروع ما تفتقت عنه أذهان العرب ونبضت فيه قلوبهم، وابتدعه خيالهم، وانتجته عبقريتهم على مر العصور، هذا بالاضافة الى عناية قصوى بالكتاب لعرضه للجمهور عرضاً صحيحاً وبيعه للقارىء بيعاً صادقاً بعدسة الاخلاص والصدق والمحبة الخالصة...

هذا ما أرادته الحياة ان تخطف منا روح هذا الانسان العظيم، وقد كان بوسعه لو شاء ان يملأ القرن الطويل الذي عاشه جلبة وصخبة، ويترك بصمات اصابعه على التاريخ المعاصر، لكنه خرج من هذه الدنيا كجسد ولكنه بقي في قلوب وعقول الناس اسمى بقاء لانه مات هادئاً بعد ان عاش حياته هادئاً والآن وأنا أذرف من أجله دمعة ساخنة وأشعر به وكأنه بقربي، لم يشاطرني ألمي في النهاية سوى قلمي، وقد كان اندى واسخى بدموعه الحزينة السوداء من اجل رجل لن يذكره التاريخ إلا بكل خير لانه /أمين التراث العربي/ ولانه الباقي فينا أبداً بقاء قاسيون والغوطة وبردى.

الدكتور رياض عوّاد

الاستاذ أحمد عبيد

طبع أو نشر أو تولى أربعة وستين من كتب غيره، بنفقته وعلمه أو برعايته وخبرته، منها موسوعة «الاعلام» لخير الدين الزركلي وخطط الشام لمحمد كرد علي وله تعليقات وتصحيحات كثيرة مع عشرات الكتب المطبوعة.

وبعد فان احمد عبيد كان خلال حياته المديدة رحمه الله مثالاً يحتذى بما كتب والف وحقق ونشر كما وكان مدرسة كاملة بما قدمه خلال تقويمه الذي نشره على مدى احدى وسبعين عاماً من ادبه وشعره ومن افكار وحكم الفلاسفة والمفكرين في شتى انحاء العالم كانت الزاد لكل من اقتنى هذا التقويم على مدى السنين التي صدر بها.

أحمد عبيد في ذمة التاريخ

بقلم الأستاذ
حكمت هلال

ان حياة الاستاذ الكبير احمد عبيد صاحب المكتبة العربية لا يمكن ان تتلخص في كلمات ولا في صفحات ولا في كتاب.

كان كنزاً ثميناً وذخراً نفيساً يعتز به ابناء لغة الضاد.

كتب الكثير في القصة والادب، في الدين والاجتماع، في الوصف والرثاء في الحكم والنقد، في الشعر والنثر، فلم يترك فناً من فنون الادب إلا وخاض غماره وترك فيه آثاراً خالدة، قلمه سيال وآفاقه رحبة. لم يتوقف عند فن واحد من فنون المعرفة، يرسل نفثات صدره الممتلىء بشعلة الايمان، فتجيء ادباً فوق الادب، خدم العلم والعلماء بكل تواضع وانكار للذات. اعطى كل ما في وسعه من علم ومعرفة للآخرين.

كان رحمه الله ـ رصيناً رزيناً هادئاً لا يتكلم إلا اذا سئل واذا سئل يضع كلمته في مكانها المناسب، لا يحب الثرثرة والتطويل، فجاءت كتاباته منسجمة مع ايمانه وعمله، افكاراً صحيحة، ومبادىء سامية وتقديس للمثل العليا، وكتبه ترمي الى التهذيب والمحبة والتسامح، تلك هي ميزة لا يتحلى بها سوى قلة من الناس العباقرة الخالدين.

ولد العلامة احمد عبيد في ذي الحجة ١٣١٠ ـ حزيران ١٨٩٢ م بمدينة دمشق، وبعد ان بلغ سن اليفاعة راح يعب من مناهل العلم والمعرفة، حتى اذا اكتملت عدته وبلغ من النضج ما بلغ اخذ ينشر بعض المخطوطات التراثية التي تقع بين يديه ويروقه موضوعها أو فكرتها، أو اسلوبها ومن امثلة ذلك كتاب (روضة المحبين) لابن قيم الجوزية، وهو كتاب نادر لم يسبق ان عثر له المحققون على مخطوطات، وقد وصفه العلامة عيس اسكندر المعلوف بانه تحفة من تحف الآداب النادرة وذلك في رسالة له وجهها الى المرحوم احمد عبيد وقال فيها:

«هو من مجتهدي الشباب الالباء ومن الادباء الذين يصح ان يقال عنهم انهم ادباء، واتخذ خطة جديدة في التأليف والجمع نود ان يسير عليها ادباء العصر والمؤلفون عندنا لما لها من الشأن الكبير في عالم التصنيف»:

ومن الكتب التراثية التي نشرها المرحوم عبيد، تهذيب تاريخ ابن عساكر (تاريخ دمشق) لبدران الجزء السادس والسابع، والمعيد في آداب المفيد والمستفيد للعلموي، وطبقات الحنابلة لابن ابي يعلى، وتخميس لامية ابن الوردي وبعض كتب الامام السيوطي منها / الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب، ونزهة العمر في التفضيل بين البيض والسمر، والارج في الفرج، والآية الكبرى في شرح قصة الاسراء، وكتاب سحر البلاغة وسر البراعة للثعالبي، وسيرة عمر بن عبد العزيز برواية مالك بن انس واصحابه.

اما كتبه التي تهتم بقضايا هذا العصر ورجاله وادبه، فمنها كتاب ذكرى الشاعرين شاعر النيل وامير الشعراء ومشاهير شعراء العصر، وكلمات المنفلوطي، وطرائف الحكمة في جزءين وديوان ابن الحسن الشيخ محمد خير الطباع، وديوان حليم دموس والرويات الشعرية لاحمد عبيد والعالم الاسلامي لعمر رضا كحالة، وغيرهم.. ولقد ساهم في تنقيح وتصحيح كتاب الاعلام.. وهنا اذكر ما قاله العلامة خير الدين الزركلي عن مساهمة الاستاذ احمد عبيد في الاعلام:

«واهدي الى الصديق الوفي السيد احمد عبيد (احد اصحاب المكتبة العربية في دمشق) وهو من اعلم الناس اليوم بمخطوط الكتب ومطبوعها، نسخته الخاصة من الطبعة الاولى وكانت بين يديه نحو عشرين عاماً يعلق عليها، بما يقع له من مخطوط ومطبوع وغريب وطريف واضاف الى هذا ان اتاح لي مطالعة مجموعة مما ظفر به من قديم المخطوطات ونادرها وحمل عني عبء استخراج «الخطوط»، المكنوزة في خزائن دمشق ومكتباتها، وتولى قراءة هذه الطبعة في فترة اشتغالي باعداد المستدرك، فنبه الى ما وقف عليه من خطأ الطبع واضاف تعليقات مفيدة اثبتها في المستدرك منسوبة اليه» الاعلام المجلد الاول صفحة ١٧ الطبعة الخامسة عن دار العلم للملايين بيروت.

ومن المعروف ان جوانب شخصية الفقيد احمد بن محمد حسن عبيد لم تكن وقفاً على التحقيق والتأليف والنقد بل كان فيها جانب الشاعرية وله مجموعة شعرية بعنوان «مجموعة القصائد دمشق ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م).

وهو ايضاً كان يضمن بعض كتبه الاخرى قصائد من شعره، ففي كتابة «ذكرى الشاعرين قال يرثي حافظاً وشوقي:

أهكذا الموت أنفاس نؤديها
الى الحياة فلا يرجى تقاصيها
أهكذا الموت صحو
لا سبات له
أو غفوة لا يذوق الصحو غافيها
الموت حق ولكن
ليس نفهمه
ولا نجيد له وصفاً وتشبيها
لا يعرف الموت ابناء
الحياة ومن
يطيق بالموت ان وافاه تنويها
يا حافظ الشعر
والآداب قد نظمت
بك المنون قصيد الموت نرويها
قد كنت تنشدها شعر
الحياة على
نعمى تحاول أو بؤس تعانيها
قد مات شوقي وما
شوقي سوى قمر
في الدجيات يجلى من غواشيها
في كل بيت له نور
يضيء لنا
مناهج الرشد في أحلى مناحيها

وقد ثمن المثقفون في هذا العصر انجازات المرحوم احمد عبيد الثقافية وجهوده في خدمة التراث والادب والكلمة. فقالوا فيه اقوالاً كثيرة ومشرفة نذكر منها ما قاله مؤسس المجمع العلمي العربي بدمشق العلامة محمد كرد علي في كتابه خطط الشام:

«نخص بالثناء صديقنا الاستاذ احمد

عبيد فانه اعاد النظر في الكتاب من اوله الى آخره ودقق فيه تدقيقاً بليغاً، فرد بذلك معظم نصوص المخطوط الى نصابها من الصواب جزاه الله عن الادب افضل الجزاء».

وقد قال الاستاذ الكبير الدكتور شاكر الفحام في مقدمة ديوان الفرزدق الذي نشره مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٥ صفحة / ٧ / في فضل وعلم وزكانة احمد عبيد الذي استطاع اكتشاف ترتيب اوراق شاردة من احدى نسخ الديوان الثمينة:

«بيد ان هذه النسخة الثمينة لم تسلم من عاديات الزمان فاضطربت بعض اوراقها وزاحت عن مواضعها حتى اذا وقعت الى الاستاذ احمد عبيد استطاع بزكانته ان يعيد نظامها، فقد كان كاتب التعقيبات جعل التعقيب في ص: ٦٤ كلمة (فامتاز (وا)) وفي ص ١٥٢ كلمة (اذا) وكتب مكان التعقيب ص ١٤٤: (هنا سقط) غير متنبه الى ما اصاب ترتيب الاوراق من خلل ولم يخف على الاستاذ عبيد فرد الاوراق الشاردة الى حاق موضعها واصلح التعقيبات في المواضع الثلاثة».

وقال فيه الامير شكيب ارسلان:

«فطابع يكون مطبوعاً الى هذه الدرجة، ويعطي دروساً لاصحاب الكتب التي تطبع عنده.. نادر في الدهر».

وكتب الدكتور شكري فيصل في مقدمة جزء من كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر (عاسم - عايد):

«وما احسب ان ناشراً من الناشرين العلماء، يتولى بنفسه وعمله وخبرته تدقيق ما ينشره يبلغ ما بلغ الاستاذ احمد عبيد من دقة.. وان له في ذلك جهوده التي لا توازي في كل كتاب من الكتب التي تولى تحقيقها أو تلك التي تولى الاشراف عليها في نطاق مطبوعات مكتبته».

وقال فيه الاديب الكبير احمد شاكر الكرمي:

«انه عمل عملاً صالحاً ينفع الناس وسجل في قائمة دمشق للادب العربي خدمة جديدة بعد ان كاد الدهر يجر على تلك القائمة ذيول النسيان».

ومن اقوال الشاعر حليم دموس في صاحب المكتبة العربية، لما طبع ديوان شعره:

«واما صاحب الكتاب فهو الشاعر الاديب المدقق السيد احمد عبيد احد اصحاب المكتبة العربية بدمشق اذكره تنويهاً وتقديراً لفضل الجامع القدير واعلاناً لادبه الجم»..

وقد ربطت المرحوم صلة وثقى بالمجمع العلمي العربي منذ تأسيسه وبأعضائه وخاصة العلامة محمد كرد علي، والشيخ طاهر الجزائري وخليل مردم بك وعبد القادر المغربي وحسني سبح وشكري فيصل وغيرهم من اعضاء المجمع.

لقد كان رحمه الله كثير العطاء، اصدر تقويمه (الروزنامة) في سورية، بعيد تأسيسه «المكتبة العربية بدمشق سنة ١٣١٧ هـ = ١٩٠٨ م ولاتزال تصدر حتى الآن.

وترك لنا نحو مئة كتاب بين مؤلف ومحقق بينها ديوان شعره الذي مازال مخطوطاً لم يظهر الى الوجود بعد.

وقد افتقد الوسط الثقافي بفقده رجلاً كريم الخلق رضي النفس، وتمثل مكتبته العربية موئلاً لكثير من المفكرين ينهلون من موردها العذب المعرفة والعلم والحمة.



أحمد عبيد

عرض وحوار الأستاذ
هاني الخيّر

شاءت لصادفة السعيدة ان نتعرف الى الاديب الاستاذ « احمد عبيد » الذي يعد من الرعيل الاول من الادباء ، ممن اسهموا في اغناء الحياة الثقافية ودفعها الى الامام ، عن طريق تحقيق المخطوطات الثمينة ·· وكتب التراث العربي ·· بالاضافة الى مؤلفاته الادبية العديدة ·

كانت بداية تعرفي الى اسم الاديب من خلال كتاب « الاعلام » للشاعر « خير الدين الزركلي » حيث بث اسمه في اكثر من ٤٠٠ موضوعاً من تعليقاته ، كما ذكره في مقدمة « الاعلام » الطبعة الخامسة حين قال :

« أهدى الي الصديق الوفي السيد احمد عبيد ، وهو اعلم الناس اليوم بمخطوط الكتب ومطبوعها ، نسخته الخاصة من الطبعة الاولى — أي الاعلام — وكانت بين يديه نحو عشرين سنة يعلق عليها بما يقع له من مخطوط ومطبوع وغريب وطريف · واضاف الى هذا أنه اتاح لي مطالعة مجموعة مما ظفر به من قديم المخطوطات ونادرها ، وحمل عني استخراج المخطوط المكنوزة في خزائن دمشق ومكتباتها ، وتولى قراءة هذه الطبعة في فترة اشتغالي بإعداد المستدرك ، فنبه الى ما وقف عليه من خطأ الطبع ، وأضاف تعليقات مفيدة اثبتها في المستدرك منسوبة اليه » ·

كما ورد اسمه في كتاب « خطط الشام » للمرحوم « محمد كرد علي » رئيس المجمع العلمي العربي آنذاك ، على انه احد أدباء بلاد الشام البارزين ، ومن الاشخاص الذين اسهموا في النشاط المسرحي في سورية ، من خلال الفرقة التي كان يشارك فيها بقول « كرد علي » :

« ومن غريب شأن هذه الامة اننا رأينا كثيراً من نجباء أبنائنا برعوا في التمثيل ، ومنهم من يعرف الادب وما ينبغي له ، قد زهدوا في فنهم ، وكتموا نبوغهم فيه شان كثير من ارباب الصوت الرخيم والغرام بالموسيقى ··· يخافون ان يعرفوا بها ويعمدون الى التقية كان من العار التلبس بهذه الفنون وممن عرفنا منهم : نور الدين حتي · صالح الحيلاني · احمد عبيد · امين عطا الله المعروف بكش كش بك » ·

كذلك يقول في مكان أخر من نفس الكتاب :

« ومن شيوخنا وكهولنا وشبابنا ونسائنا ممن اشتغلوا بالعلوم والآداب على اختلاف انواعها وممن اشتهر منهم : محسن الامين · بهجة البيطار · احمد عبيد · محمد عزة دروزة » ·

اضف الى ما ورد ذكره ان « احمد عبيد » اصدر اول تقويم « روزنامة » في الوطن العربي عام « ١٩١٧ » ، فعم ما اصدره البلاد لعربية لما تحويه من المختارات الادبية والعلمية والتاريخية والفكاهية اللطيفة · لهذه الاسباب مجتمعة وجدت من المفيد التعرف على اديبنا عن كثب ، لنتمكن من تعريف القراء به ، ولتسليط الاضواء على نشاطاته في الماضي والحاضر والمستقبل ، خاصة وانه يحيا بعزلة في منزله الهادىء الذي اعتكف فيه يؤنسه انجاله ومكتبته العامرة بذخائر التراث وامهات الكتب الادبية القديمة · وحين استفسرت من احد اصدقاء الاديب عن امكانية زيارته في منزله قال :

انه طريح الفراش منذ سنوات ·· وصحته متدهورة في هذه الايام ·· وعندما تتحسن حالته الصحية سأخبرك بالنتيجة · وبالفعل اتصل بي ذلك الصديق مشكوراً — في اوائل الشهر الحالي — وحدد لي موعد الزيارة فكان الملف الثقافي التالي :

اجبته :
معارفك هم الذين دلوني عليك أذكر منهم :
الشاعر محمد البزم • الاستاذ محمد كرد علي • الشاعر خير الدين الزركلي • الاديب عيسى اسكندر معلوف وغيرهم .. لقد تحدثوا عنك في مؤلفاتهم ومقالاتهم فكان كلامهم عنك السبب الرئيسي الذي جعلني ابحث عنك وأطرق بابك !
وهنا تدحرجت الدموع الصامتة من عيني الاديب حين ذكرته بأصدقائه ورفاقه وأترابه الذين سبقوه بالرحيل عن هذه الدنيا ليظل شاهداً وحيداً على نهاية القرن العشرين •

لمحة موجزة عن حياتكم ؟

● اسمي أحمد بن محمد بن يوسف بن الحاج عبيد واليه تنسب الاسرة كلها •

ولدت في ذي الحجة « ١٨٩٢م » • وتوفي والدي وانا دون الرابعة من عمري ، وكان لي من الاشقاء اربعة كنت اصغرهم ، ولم يتجاوز اكبرهم العشرين ، فتولتنا الوالدة جميعاً برعايتها • تعلمت في بعض المدارس الاهلية أذكر منها المدرسة « الريحانية » التي كان من اساتذتها « محمد ابو الخير الطباع » الذي اسس المدرسة العلمية الوطنية سنة ١٩٠٧ • ولم أنتفع من أحد مثلما انتفعت منه الى ان توفي سنة ١٩١١ عن احدى وثلاثين سنة • لاأدري متى وكيف وجدتني من طلاب « عنبر » — وهي المدرسة الثانوية الوحيدة التي كانت في سورية بين الحربين — وكان التعليم فيها باللغة التركية حتى قواعد اللغة العربية •

الخطوة الأولى في عالم الادب !

غادرت مكتب « عنبر » وعملت في محل شقيقي « محمد سعيد » الذي كان من تجار الساعات المعروفين ، وطبعت وانا عنده تخميس لامية « ابن الوردي » لابن « الملاح » فكانت الحصاة الاولى في تأسيس المكتبة العربية سنة « ١٩٠٨ » • ثم طبعت بعض الرسائل والروايات .. كذلك اصدرت مجلة « أنفس النفائس » التي صدر منها تسعة أعداد سنة « ١٩١٢م » •

ايام الحرب !!

في اواخر سنة ١٩١٤ دخلت « تركيا » الحرب جانب « المانيا » وعرفت تلك الحرب هنا « بسفر برلك » وفي السنة التالية دعيت انا وشقيقاي « توفيق وحمدي » الى الجندية حتى انتهت نار تلك الحرب ، فخبا سعيرها وانطلق أسيرها • وتجدر الاشارة الى انني في هذه الحرب تعرفت على صديق العمر المرحوم « خير الدين الزركلي » •

المكتبة العربية

في نهاية الحرب العالمية الاولى ، انضم الي اخواي فأسسنا « المكتبة العربية » وانفتحت ابواب العالم على الشام ، لاسيما ابواب مصر التي كادت تكون المورد الوحيد للمطبوعات العربية • وشرعنا في جلب ونشر مانراه مفيداً ، فكنت لاأبيع كتاباً حتى أفحصه وأقرأ مقدمته وفهرسه وبعض فصوله ، وارجح ان لاشذوذ فيه .. وربما طلب إلي الكتاب غير المفيد ، فأصرف طالبه الى ما هو خير منه • وبذلك اصبحت المكتبة مراد كل طالب معرفة ، وملتقى الجمهرة الناشئة والنابهة من اهل العلم والادب والشعر من رجالات الشام والطارئين عليها • كان يزورني في المكتبة الشاعر العراقي « محمد رضا الشبيبي » حين اقامته الطويلة في دمشق ، اذ كان يقضي سحابة نهاره في المكتبة • ، يسمعني واسمعه بعض ما يعنّ لنا من طرائف وعوارف أثناء المطالعة • ولو انني ذهبت أذكر كل من كان لي به صلة من اعلام العرب والمستشرقين لما أحسبتني الصفحات الكثر •

الرحيل الى القاهرة :

في سنة ١٩٢٧ رحلت الى القاهرة وانشأت فيها فرعاً للمكتبة العربية ، بشارع الاستئناف بجوار المطبعة السلفية ومكتبتها التي كانت مجتمعاً للادباء امثال :
احمد تيمور • محمد الخضر حسين • حافظ ابراهيم • فكنت اتحين اجتماعهم لأستمع اليهم واقتبس من مشكاة فوائدهم • بقيت في القاهرة سنة واحدة ثم عدت الى دمشق فأصدرت طائفة من الكتب والرسائل التي رجحت نفعها والافادة منها • وكل ذلك كان بإشرافي وتحقيقي ، او جمعي وتعليقي • وقد أقترح التأليف في موضوع وأشترك فيه ، من غير اشارة مني الى ماصنعت •

هل تذكر لنا بعض المؤلفين الذين رفضت أدبهم ؟

احمد الصاوي . احسان عبد القدوس . يوسف السباعي . نجيب محفوظ .

موقفك من الدكتور طه حسين ؟

كنت اتابع كتبه ومقالاته .. على الرغم من انني أختلف معه في بعض القضايا التي أثارها في مؤلفاته .

هل كنت تنقد ما تقرؤه من كتب ؟

● كان من النادر ألا تقع عيني على خطأ في الكتب التي أطالعها . فكنت أبادر الى التصحيح ، أو أضع بحيزه اشارة استفهام إن لم أتحقق من صحته ، ثم يطوى الكتاب . ولم يكن من شأني أن أنشر الهفوات أو أعلن السقطات إلا لأصحابها أو طابعيها ابتغاء إصلاحها !! ورحم الله امرىء أهدى الي" عيوبي .

مساهمتك بالصحافة المحلية ؟

● في مطلع شبابي نشرت في الصحف بعض القصائد الداعية الى الوحدة بتوقيع « أبو الطيب » وبعض المقالات بتوقيع «ابن رشيق »

موقفك من الشعر الحديث ؟

● أرفض الشعر الحديث لأنني لا أفهمه !! أنا من أنصار الشعر الموزون المقفى .

هل تسمعنا بعض شعرك ؟

● نعم سأختار ما أتذكره من قصيدة « دمعة وفاء » التي نظمتها في حفلة تأبين علم الإعلام الشاعر « خير الدين الزركلي » في عام ١٩٧٧ :

مابقائي وقد مضى إخواني
ودهاني بالقارعات زماني
كل يوم أرى المنايا كفاحاً
تتتحيني بما يهد كياني

غاب عني فلات حين تلاقٍ
غير أني أراه ملء جَناني
ربما مرت السنون دراكاً
لا أراه فيها وليس يراني
فإذا منّت الليالي بقربٍ
فكأنا لم نفترق لثواني

قد رضعنا صفو الوداد شباباً
وكأنا رضيعي لبان
إن يفرق ريب المنية جسمي
ينا فإنا روحان مؤتلفان
يا أبا الغيث غيث وجدي هامٍ
واصطباري على الفجيعة فاني
ليس بيني وبين لقياك إلا
لمح طرف أو خفق قلب عاني

● يكون في قراءة الكتاب كله والنظر فيه وفي المقدمة خاصة . فلعل فيها مايشير الى اسمه او الى ذكر شيء من مصنفاته او مروياته عن العلماء في عصره . فنتعرف بهم الى مايفيدنا في التعريف بالمؤلف والمؤلف .

● جمع ما يمكن الحصول عليه من النسخ ، والمقارنة بينها لاختيار ماهو اقرب الى الصحة واولى بان يتخذ أصلاً للنشر .

واجدر النسخ بذلك ، ما كان بخط المؤلف ، او مقروءاً عليه ومصدقاً بخطه ، او مقابلاً على نسخته او على النسخة المقروءة عليه ، فإذا لم يكن للكتاب إلا نسخة واحدة فيجب أبحث عن الموارد القديمة التي يظن ان المؤلف استقى منها او المشارع التي صدر عنها اصحابها ، فلعلنا واجدون في بعضها ماننشده من تقويم نص" او إصلاح خطأ .

وقد يرد النص في الكتاب مرة فما فوقها ، فينبغي للمحقق ان يعارضه جميعاً ويعتبر بعضه ببعض ، فان وجد فيه اختلافاً في موضع فليقومه على الموضع الآخر ، كما يصنع عند اختلاف النسخ ، هذا اذا كان فرق في موضع فرق مابينهما من خطأ النسخ وإن كان اختلافاً في الرواية وكان كلاهما غير مجحف بالمعنى المراد اثبت مافي الاصل الذي اعتمده واشار في الهامش الى الرواية الاخرى .

وإذا وجد في بعض النسخ او المصادر الاخرى زيادة على مافي النسخة التي اعتمدها اصلاً جعل تلك الزيادة بين معقوفين [ ] واشار في الهامش الى المصدر .

وان كانت الزيادة في الاصل ابقاها على

ماوجدها فاذا احتاج الى اضافة حرف او كلمة يقتضيها الكلام ولايصلح من دونها جعلها ايضاً بين المعقوفين ، واشار الى ذلك في مقدمة التحقيق ، وان انبهم عليه لفظ فليقلبه على كل وجه من وجوه التصحيف ، فان اعياه اللفظ الواضح بعد هذا رسمه « كما وجده » ووضع بجانبه علامة الاستفهام (؟) او كلمة (كذا) فلربما وضح للقاريء مالم يوضح للمحقق .

ان لموضوع الكتاب شأناً في التعليقات ، واول ما يتوخى فيها اعانة الطبقة الوسطى من القراء على الاستمرار في المطالعة بحيث لاينظر احدهم الى الهامش إلا إذا استعصى عليه فهم العبارة لغموض تركيبها ، او لغريب لفظها ، وذلك بايضاح الغامض بأوجز تعبير ،وتفسير الغريب بأخصر لفظ . فالواجب إذن ان يخرج الكتاب وهو أقرب مايكون لمراد المؤلف .إن مثل منضد الحروف في المطبعة اليوم كمثل الناسخ في القديم . فعلى قدر ماعنده من العلم والمعرفة يكون احسانه واتقانه ،

ماذا عن التمثيل ؟

● حين كان عمري –١٥– سنة أسست وأصدقائي فرقة من الممثلين ... وكنت أجهز الملابس « والديكور » وأمثل بعض الادوار ... قدمنا عدة تمثيليات في مقهى « القوتلي » « بالسنجقدار » ثم تفرغت للأدب .

ودعت الاستاذ « أحمد عبيد » صاحب العقل الواعي والقلب المحب ، الذي امتحن الدنيا ... وعرف الرجال ، لقد كان حديثه كالحلم الغامض البعيد القادم من غبار الصمت والنسيان ، وذكريات الماضي الذي نسيناه بمرور الزمن ، وهذه هي طبيعة الحياة التي تسير الى الامام كنهر لا يعرف التوقف

● هاني الخير

---

* مناذا نرجو ان نبلغ بالعقل اذا ابعدنا كل مساعدة للتجربة الحسية "

* انني اسمي المعرفة سامية اذا كانت لا تعني كثيرا بالاشياء بقدر ماتعني بالافكار الفطرية البديهية عن الاشياء "

* ان الادراكات الحسية بغير المدركات العقلية عمياء "

من ملف البعث الثقافي

ورحلة في ذاكرة أحمد عبيد

الأستاذ عبد الكريم حسين

في صحيفة البعث، العدد /٥٥١٥/، كانت لنا رحلة استكشافية، شعرنا فيها بأهمية التعرف إلى أحد الرواد وهو الأستاذ: **أحمد عبيد**.

لقد بدأت رحلتنا من المكتبة، حيث كنا نبحث مع المحرر عن احمد عبيد فالتقينا به في صفحات الأعلام، وفي خطط الشام.

فقد كانت الأضواء مسلطة عليه في سياق جماعة من أعلام عصره، من أمثال الزركلي، وكرد علي ونور الدين حقي..

وكنا أمام مفهومهم القديم للأدب «الأخذ من كل علم بطرف».

وانتقل بنا المحرر هاني الخير إلى منزل الأستاذ أحمد عبيد، مختصراً الطريق، ليضعنا في منزله، ويدعه يتحدث إلينا عن حياته، وعن حصاته الأولى، في بحر المكتبة العربية «تخميس لامية ابن الوردي، لابن الملاح».

ثم عشنا صلات الشاعر بأدباء العروبة من أمثال:

خير الدين الزركلي، ومحمد رضا الشبيبي «العراق»، وحافظ ابراهيم «مصر» ومصطفى لطفي المنفلوطي «مصر»، ومحمد الخضر حسين «تونس» وغيرهم..

وأن لنا أن نقف أمام القضايا التي يطرحها الملف، ولنبدأ بقضية الأضواء التي سلطها المحرر على أحمد عبيد، بلسان أبناء عصره، لأنهم أدرى الناس بقيمة العمل الذي يقومون به، ولأن المرحلة التاريخية هي التي تدفعهم إلى هذه الساحة أو تلك. وبالتالي، فإن الحاجة الى تحقيقات أحمد عبيد، لايدرك قيمته مثل أبناء عصرها، هذه واحدة.

وأما الثانية فإن حديث صاحب الاعلام يكشف لنا عن مكانة أحمد عبيد بالقياس إلى أدباء العربية، من مصر العربية، وهنا نلاحظ روح العروبة، وقد اتخذت شكلاً تكاملياً، فالعمل الذي بدأه خير الدين الزركلي، أتممه أحمد عبيد، وأضاف استدراكات إلى كتاب الأعلام، أضافها صاحبه إلى مستدركه مسندة إلى صاحبها «عبيد».

واما الثالثة، فإن الحديث عن أحمد عبيد في كتاب الاعلام يدل على مكانته بين أعلام العربية، ليس في عصره وحده، وانما بالقياس إلى أسلافه من العلماء العرب. كما أشار الخير إلى موضعه التاريخي في كتاب خطط الشام بين الأدباء، والعلماء العرب الذين تعددت نشاطاتهم فتجاوزت الأدب، إلى الموسيقى والتمثيل..

ولندرك معاناتهم في تلك المرحلة أشار المحرر بلسان صاحب خطط الشام إلى الحرج الذي يصيب الأدباء والعلماء، إذا ما عرف الناس عنهم أنهم يطربون للموسيقى، أو يقومون، بالتمثيل، وهذا ما يطرح مفهوم العالم في ذهنية المجتمع العربي أنذاك، وارتباط هذه الشخصية العلمية، بمفهوم الرزانة والاتزان. كما أنها تضعنا أمام تحرر هؤلاء الأدباء عقليا، وقناعتهم بضرورة التمثيل، والموسيقى وأثرها في تهذيب النفوس، أو توجيه الناس، وهذا — كما نظن — أثر مبكر للحضارة الغربية في روادنا الأوائل، ونلحظ طبيعة مرحلة الانتقال التي تضع الانسان الرائد بين فكره أو طموحه وواقعه، وواضح أن العلماء الذين كانوا يخشون المجتمع، كانوا يستجيبون لسلطانه أكثر من استجابتهم لقناعاتهم العلمية..

واذا كنا نقول: إنها مرحلة انتقال، فإننا نضع في حسابنا طبيعة المؤلفات المطبوعة وغير المطبوعة التي استعرضها الملف لصاحبنا أحمد عبيد، فهي ذات

طبيعة احيانية ،

لمؤلفين خلو من قبلنا أراد الأستاذ عبيد أن يوثقها لنا ويحفظها ، أو قل أراد أن يعود إلى الحي في نفسه من تراثنا ليصله بالحياة من جديد ، ولنقوم بعملية تواصل بعد انقطاع ، وهذا شأن حركات النهضة في مطالعها عند الأمم جميعها ، ونستذكر موقف الرواد في عصر النهضة الأوربية ، وهذا أمر طبيعي لأنه يحقق انسجام الشخصية العربية مع نفسها بالأمس ، ونفسها اليوم ... لتكون غداً أشد قوة ، وتأثيراً في الحضارة الانسانية ..

وثمة قضايا أخر طرحها الملف الثقافي ، منها شعر العلماء ، ولم يجنح الزميل هاني إلى المدح ، وانما أخذ رأياً للأستاذ محمد البزم الذي لم يقدم عبيداً على غيره من الشعراء ..

ونستطيع أن نتعرف إلى ذوق الشاعر أحمد عبيد من رفضه لأدب احسان عبد القدوس ، ونجيب محفوظ ، والصاوي ، وتحفظه من آراء طه حسين ،.. ونتعرف إلى وفائه لأصدقائه من ثنايا كلماته عن خير الدين الزركلي والمنفلوطي وغيرهم .. ولقد لفت نظرنا نقد أحمد عبيد وتصويباته التي لايقوم بنشرها على صفحات الصحف ليبرز علماً في معركة وهمية ... وانما يزجيها إلى صاحبها على استحياء وهذه قضية أخلاقية الناقد ، وأغراضه من النقد « الاصلاح لا التشهير » .

وخلاصة القول لقد استطاع هاني الخير أن يبين مجهولاً في ملفه ، وأن يعرفنا بأكثر من كتابين من كتب أديبه ، كما استطاع أن يسلط الضوء على مرحلة الأديب ، وعلى مشكلات النقد وأخلاقياته ، كما طرح شعر هذا الأديب باختياره هذا اللون من الشعر ، واستطاع أن يقول مع أديبه أن الجيل القديم لايستطيع أن يقبل شعرنا لأنه ليس من عصره ...

لقد استطاع أن يحقق معنى الملف الذي يشتمل على جوانب متعددة من ثقافة الأديب ، ولقد استطاع الملف أن يتأثر بطبيعة موضوعه الذي يصور الثقافة وقضاياها في مرحلة عصر الانتقال في مطلع نهضتنا الأدبية المعاصرة ..فكان ملفنا هذه المرة شامخاً ، نتمنى له أن يتسع في صفحاته ، لنزداد علماً بأحوال هؤلاء الذين يعودون إلى الحياة من جديد ، في طيات ملفنا الثقافي .

●● عبد الكريم حسين

الاقتحام ..

تزودي يا المهجة الزاحفه ..
فدونك .. البحرُ .. وأمواجُه الزرقُ ..
وموعدٌ مع العاصفهْ ....

تزودي .. فحولَك .. ألف موردٍ يسكب العشق ..
وألفُ لونٍ ...
من العاطفهْ ....

ونهرٌ من الهم .. يواكبُ أوجاعنا ..
ويزكي جراحاتنا ...
النازفهْ

تزودي .. بالجوعِ .. والصبر والاخضرار ..
وأوجاع أيامكِ ..
السالفهْ ..

وعورةُ الدرب .. لاتمنع الاقتحام ...
ولاتقتل إلّا ...
الخطا الخائفهْ ...

حَنينٌ حَزين

الأستاذ أحمد عبيد*

يومُ الخميس أَتى فأين الآسي؟ ... الطيّب الأعراق والأغراسِ

كرُمت مَنابتُه وطاب غِراسُه ... ونَبَتْ شمائلُه عن الأدناس

جاذبتُه طِوَءَ المنون فعزَّني ... وأصاب قبلي واحة الأرماس

مَنْ لي بشدِّ الرحل نحوَ رِحابه ... أَنَّى وإني مُوثَقٌ بِمراس

يعتاقني أَجلي عن الركْب الذي ... أرجو صَحابته من الأكياس

يا ويح نفسي كم تَساقَطُ أنفساً ... في إثر كل مؤانسٍ ومواسِ

الموتُ رُزْءُ الخالفين وإنه ... للسابقين مآدبُ الأعراس

والمرء في الدنيا دريئةُ أَسْهم ... تأتي على الأنواع والأجناسِ

ويدُ القضاء اذا رَمَتْ عن قوسها ... فالسهمُ ليس يَصِيفُ عن قرطاس

ماذا أؤمل من حياةٍ صفوُها ... كدرٌ وناعُمها الصليبُ الجاسي

لا تبصر العينان فيها بهجةً ... إلا وعُقباها شديد مآسِ

في كلِّ صقعٍ في البلاد عصابةٌ ... عاثت كعيث الماردِ الخنْاسِ

في البحر والجوِّ الرحيب جلاجلٌ ... منهم تدكُّ شوامخ الأجلاسِ

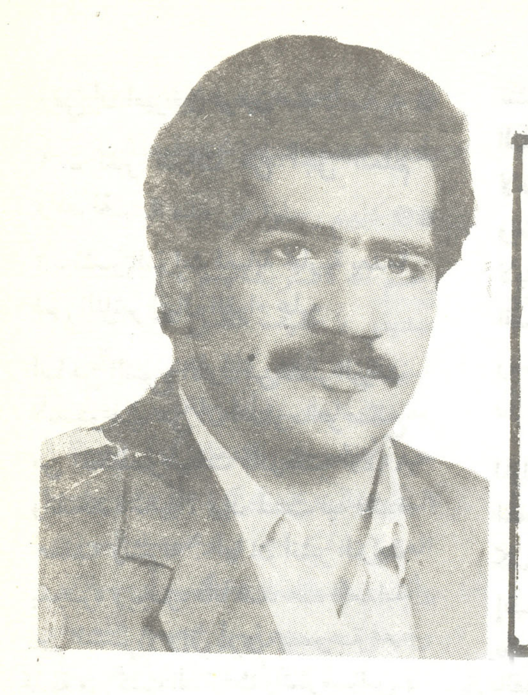
والخير شحَّت سحابُهُ ... والشرُّ سحَّ بصيّب رجّاسِ

لم تُبْقِ لي الأيامُ غير حُشاشةٍ ... أَشفُّ منها أو تُجفَّفَ كاسي

ماثمّ في المشكاة غير ذُبالةٍ ... تخبو ويُطفا عندها نبراسي

ولقاءُ ربي - إن أمنتُ عقابَ - ... أرجى وأنجى من لقاء الناسِ

* الاستاذ احمد عبيد (ولد حفظه الله في ذي الحجة ١٣١٠ هـ = حزيران ١٨٩٢ م) من كبار علماء دمشق، له مشاركة خصبة وجهود موفقة في التأليف والتحقيق وخدمة التراث. كان وثيق الصلة بالاستاذ الدكتور حسني سبح رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، الذي اختاره الله الى جواره (في ٣١/ ١٢/ ١٩٨٦ م). وكان من عادة الدكتور سبح، رحمه الله، ان يزور الاستاذ عبيد كل يوم خميس، ليطمئن على صحته، ويجدّد عهده به، فلما اظلَّ الاستاذ عبيد اوّلُ خميس بعد وفاة صديقه الدكتور سبح، هاج به الأسى واستبدَّ به الحنين، ففاضت نفسه بهذه الأبيات التي تترقرق وفاء وصدق عاطفة.



الباحث أحمد عبيد

حاوره الأستاذ: اسماعيل مروة

★ الباحث أحمد عبيد واحد من أعلام النهضة العربية الأدبية الحديثة. ولد في دمشق سنة ١٨٩٢ وتفرغ للتراث، وتحقيق كتبه ومخطوطاته بعد أن تخلى عن الطب

★ طاف حبا بالأدب والتراث في عدد غير قليل من البلاد العربية.

★ حقق عدداً كبيراً من كتب التراث، وألف عددا من الكتب التي تناولت موضوعات شتى من الأدب والفكر.

★ في هذا الحديث اطلالة على الحياة الأدبية والتراثية لهذا المفكر الكبير

● تحولت (الوراقة) الى تجارة بالمخطوطات والكتب فكيف كان الاستاذ عبيد يمارسها ؟

●● عندما مارست الوراقة كنت صغيراً، خصص لي يومها أخي واجهة في دكانه. بدأت اشرف على أعمالي في المطبعة ليلاً نهاراً - - - - . وتفرغت بعدها للعمل في المكتبة وجمع المخطوطات والكتب النادرة، لم أفكر يوماً في الربح الا بمقدار يهيء للمكتبة الاستمرار، ولم أخف ماأعرفه عن أمر النوادر والمخطوطات عن الأصدقاء وطلاب العلم والمؤسسات العلمية.. وأصدقائي يذكرون رسالة الملائكة التي اكتشفتها لأبي العلاء المعري وطبعها مجمع اللغة العربية بدمشق. ومن المعروف أنني زودت المكتبة الظاهرية بدمشق بمجموعة من النوادر والمخطوطات مما سهل وصول الباحثين اليها

الوراقة عندي علم لاتجارة، ولم أمارسها في يوم الا على أنها علم يخدم اللغة والتراث.

● عملتم بتحقيق التراث منذ العشرينات في هذا القرن ومازلتم على تقدم العمر بكم تقومون بتحقيق بعض المخطوطات التي أراها بين يديكم. بعد التجربة الطويلة في عالم التحقيق ماأهمية نشر التراث ؟ وهل لمست لذلك فائدة ؟

●● إن نشر التراث أمر هام جداً، ولايمكن لأمة أن تحيا دون أن ترتكز على تراثها وأصالتها، ومن هذا المنطلق أجد أن نشر التراث واجب

وعليَّ أن أميز بين نوعين منه :

١ - نشر التراث من أجل العلم والمعرفة

٢ - نشر التراث لغاية تجارية بعدما لمس الناشر إقبال القراء عليه .

أنا من النوع الأول من نشر التراث لأنه يتوجب عليَّ أن أختار ماهو صالح من المخطوطات فادرسه أولاً ، وأتفحصه ثانياً ، وإن لمست فيه فائدة حققته ونشرته . أما ان أنشر التراث بعجره وبجره فأنا ضد هذه العملية من النشر ، وإني أرى مجموعة غير قليلة من كتب التراث والرسائل خاصة تنشر بين يدي العامة وهي غير صالحة لأنها لم تؤلف للعامة ، وإنما وضعت للخاصة حصراً . ان التعامل مع التراث يجب أن يكون تعاملاً واعياً قائماً على الفهم والمعرفة من المحقق والناشر ، وهذا لعمري نادر في أيامنا .

● ماهو المنهج الذي اختطه أحمد عبيد لنفسه في تحقيقه للتراث العربي ؟

●● إن الحديث عن المنهج في التحقيق طويل ، لكنني باختصار أقول : ان منهجي أصبح واضحاً وعرفه الناس من خلال تحقيقاتي المنشورة ، التحقيق عندي هوتوصيل النص كما وضعه مؤلفه تماماً دون أن أشوه هذا النص وجماله ، ومأأراه اليوم من تحقيق لايمت الى التحقيق بصلة من قريب أو بعيد الا ماندر فأنت ترى رسالة من عدة صفحات تنشر في كتاب كبير فيه مقدمة المحقق الذي يتحدث عن المنهج وهذا أمر لاضرورة للاسهاب فيه لأنه أصبح واضحاً خاصة وأن كتب التراث لايتناولها الا فئة معينة من الناس ، فما الفائدة من منهج التحقيق قبل كل رسالة صغيرة ؟

ثم يسطر مقدمة طويلة حول المؤلف وحياته ليتقل بعدها الى صور المخطوطات فالنص الأصلي لينهي كتابه المحقق بالفهارس ، وهذا إضافة لما يثقل به النص من تراجم طويلة لاداعي لها فأنت تقرأ النص لتجد الأرقام الكثيرة التي تحيلك الى الحواشي . . وقد رأيت في هذه المعاجم عجباً . . يلتبس الاسم على المحقق فيخلط بين الفقيه والشاعر والظريف وهناك أمثلة كثيرة والعرب القدماء ابتعدوا عن هذا الخلط وكانوا أكثر دقة في اخراج الكتاب وانظر معي الى نسخة من الصحاح كانت ملكي وتحولت الى الظاهرية كتبت بخط ياقوت (ي ق) وتعليقه + تعليق التبريزي (ت) وفي تعليق ياقوت يقول : وتمام البيت . . . وقائله فلان دون أن يعطي ترجمة مطولة له وهو ياقوت أعلم أهل الادب بالتراجم وكثيراً مانجده يقول : لاأعرف قائله وهو ياقوت :

فأسلوب الأقدمين

الكتاب - شرح الكتاب - الحاشية على الكتاب - التعليق

ومانراه من تحقيقات اليوم هو بمثابة التعليق لا التحقيق . . وفي منهجي في التحقيق أركز على قضية التخصص التي أراها من الضرورات الملحة لكتنا لانجدها اليوم فمحقق التاريخ يحقق الأدب والطب والحديث والفقه ، وأذكر هنا بالخير الصديق الدكتور صلاح الدين المنجد الذي كان يستعين بخبرات أنداده العلمية ، دون أن يدفعه عن ذلك الغرور والكبر لذلك نجد نصوصه أكثر دقة . .

وعندما حققت فتاوى شيخ الاسلام زكريا الانصاري الشافعي قرأت الكتاب كاملاً على شيخ الشافعية في الجامع الاموي حينها وذكرت ذلك في المقدمة لأن مذهبي هو الحنفي .

وإذا تركنا ذلك الى الفهارس نجد كثيراً من المحققين لايجيدون الفهرسة حسب الحروف الهجائية ، فترى أمراً عجباً فبعض محققي اليوم يضعون الأصمعي في باب الصاد والأخطل في باب الخا ، هذا إن لم يهملوا ذكره جملة والأمثلة على ذلك موجودة .

التحقيق عمل شاق كما أشار الجاحظ رحمه الله ، وأكثر صعوبة من التأليف . وامتلاك العدة الصالحة والتخصص والتواضع هو سبيل المحقق الناجح كما أرى .

● كتاب مشاهير شعراء العصر بدأتم به عام ١٩٢٢ م بقسمه الأول - شعراء مصر - لماذا توقفتم عن اتمامه بقسميه شعراء سورية وشعراء العراق ؟

●● كنت قد وضعت مشروع مشاهير شعراء العصر قيد التنفيذ وقسمته الى أجزاء ثلاثة :

- شعراء مصر
- شعراء الشام
- شعراء العراق

وأثناء إعدادي لقسم شعراء مصر عانيت كثيراً فكتبت لكل شاعر رسالة أطلب فيها رسماً حديثاً له وترجمة بقلمه ومختارات من شعره الذي لم ينشر بعد . جاءتني بعض الاجابات وامتنع بعضهم عن الجواب وأذكر (حافظ وشوقي) حتى توسط الصديق المرحوم محمد الخضر حسين عند حافظ وآخرون عند شوقي وتم الكتاب ونشرته يومها باعداد قليلة آملاً التعديل وقد أشرت الى ذلك .. وعندما بدأت باعداد القسم الثاني واجهت صعوبات أكثر أذكرها للتاريخ

- رفض بعض الشعراء المبدأ أصلاً .

- تكبر بعضهم عن أن يضع اسمه مع صديق آخر .

- غرور اخرين ظناًمنهم أنهم فوق العمل

وتوقفت عن العمل بعد أن جمعت أغلب مادته لانه لايمكن ان أنشر القسم الثالث دون الثاني . وأذكر ان مشاهير شعراء العصر لقي قبولاً وتجاوباً كبيرين من الأدباء حتى عده بعضهم مدرسة في الشعر المعاصر . أنا بذلت جهدي كاملاً لاخراجه لكن هكذا شاءت الاقدار أن يتوقف العمل ولايرى النور .

● عرف أحمد عبيد بعلاقاته القوية بأدباء عصره فبماذا تحتفظ ذاكرته ؟

●● كلهم رحلوا عن هذه الدنيا ، رحم الله ذكرياتهم ، ولاأنسى صديقي ، خفيف الظل خير الدين الزركلي ، الذي كان يندي المجالس بحديثه العذب وأملوحاته ، لاأنسى حبه ووفاءه حتى عندما نزل في معترك الترحال ومحمد كرد علي ويوسف العش وشفيق جبري ومحمد البزم وأنور العطار وشكيب أرسلان وحسني سبح رئيس مجمع اللغة العربية كان أخاً طيباً وحبيباً وصديقاً ، كان آخر الأحباب الذين فارقتهم وكان لفراقه وقع أليم . كثرهم الأصحاب الذين شاركوني رحلة الحياة وأحمل لهم الذكريات الطيبة .

■ على الأمة أن تقبض على تراثها المضيء ، وأن تسعى الى نشره

■ الأهمية في تحقيق الكتب أن تصل النصوص للجيل الحاضر كما وضعها مؤلفوها .

■ تحقيق الكتب أصعب من تأليفها

الأستاذ نجاة قصّاب حسن:

ضمن كلمة له في "جريدة الثورة الدمشقية"

العدد ٧٣٦١ الخميس ٢ رمضان ١٤٠٧ = ٣٠/٤/١٩٨٧

«في ذكرياتي أنّ الأستاذ أحمد عبيد، وهو من القدامى أصحاب المكتبات التجارية التي تضمّ خزائنهم آلاف الكتب الجيّدة، وكان شديد الانكباب على القراءة في كل لحظة تتيسّر له. وكان يستخلص من قراءاته هذه أشعاراً وحكماً وطرائف وأمثالاً ينسخها ويضعها جانباً، حتى إذا قارب العام على نهايته، طبعها على قفا أوراق التقويم الذي يصدره في كلّ عام.

وكنّا جميعاً نقرأ هذه المستخلصات من أجود القراءات، ونسّر بها، ونحفظها، وتشكّل جزءاً من ثقافتنا اليومية.

وأكثر من ذلك، فقد كان اشتراك الألوف في قراءة النَّصِّ ذاته كلّ يوم، يشكّل في الثلاثينات وما بعدّها، نوعاً من الثقافة المشتركة الموحّدة، له مزيَّة التقريب بين الناس، وتوطيد الأسس لفهم واحد، أو متقارب، ولموقف مشترك من الحياة. وهذا يشكّل أساس المتّحدات الاجتماعية الراقية.

انّ أحسن مثقّفينا ممَّن يقرأون بكثرة وعناية، ويومياً، لا يخرجون من قراءاتهم غالباً بأفضل من هذه المستخلصات، . . . ولو أخذنا كتب الأدب القديمة الجامعة، التي لاتزال الى الآن تحيا في ثقافة الناس، كالأغاني للأصفهاني، والعمدة لابن رشيق، والعقد الفريد لابن عبد ربه، والبيان والتبيين للجاحظ، والامتاع والمؤانسة للتوحيدي، ومئات غيرها، لما وجدناها إلا نوعاً من هذا الانتقاء الذكي، من مجموع قراءات مؤلفيها وجملة ما سمعوه من الروايات والأخبار.

وكذلك، فإنّ الشعر العربي انتقل إلينا عن طريق المجموعات المختارة على ذوق جامعيها من كبار الشعراء القدامى، مثل (حماسة) أبي تمام، و(حماسة) البحتري، ومختارات ابن الشجري، والسيد البصري، وسواها. . . ، لذلك فإنّ ما صنعه أحمد عبيد في ما اختاره وسجّله على قفا أوراق روزناماته يوماً بعد يوم، وعلى مدى عشرات السنين، لا يعدو أن يكون نوعاً من هذا الاختيار الذكي، . . .

. . . ، ولأنّ العرب كانوا في هذا النوع من التأليف الاختياري الانتقائي، هم الذين فتحوا الطريق إلى أنواع المختارات التي تنشرها مجلّات عالمية أمريكية (كالدايغست). . أو سوفييتية (كالسبوتنيك). . وغيرها. .» . . .

مع صاحب المكتبة العربية أحمد عبيد

أمين التراث العربي

بقلم الاستاذ
حسان الكاتب



● من منا لم يفتن التقويم العربي الهاشمي لاحمد عبيد؟، ومن لم يتأثر بالفكر والحكم والادب والشعر والامثال والنصائح الطبية والاجتماعية والدينية والاخلاقية والتهذيبية والتثقيفية والاعلامية والوطنية؟

ومن منا لم يجد في تقويم احمد عبيد المنفعة التي لا تعد ولا تحصى آثارها.

ان هذا التقويم يتربع على الجدار منذ مطلع كل عام وحتى آخره. فاذا ما انتهى عام حل تقويم جديد بدلاً منه.. ثم تقويم ثالث فرابع.. فخامس فسادس فسابع فثامن.. وهكذا منذ سنة ١٩١٧. وكل هذه التقاويم لاحمد عبيد صاحب المكتبة العربية وصاحب المؤلفات اليدوية وصاحب الشعر الجميل.. كم وكم قرأت من حكمه الشخصية وادبه وشعره في تقويمه. فالى بعض شعره الجميل الذي قرأته في تقويمه:

تحت عنوان: المظاهر كتب احمد عبيد الابيات التالية:

لا تؤخذن بألقاب مضخّمة
ولا بأثواب يسر غير ذي كرم
فليس فضل الفتى ثوباً ولا لقباً
لكنه في جلال النفس والشيم
ورب نجم برأي العين تبصره
مصغراً وهو فوق البدر في العظم

فهنا استطاع احمد عبيد بهذه الابيات القليلة ان يعلمنا بان المظاهر الخداعة والالقاب الفارغة لا جدوى منها.. وانما الفائدة كل الفائدة بالاخلاق والخصائل الحميدة والمنفعة التي يقدمها الانسان لمجتمعه.. وهو يؤكد ايضاً بانه علينا ان لا نحتقر مخلوق لمظهره أو لجهل امكاناته.. فربما يكون هذا المخلوق عظيم الشأن والقدر والفائدة في جوهره.

ورب نجمٍ رأي العين تبصره
مصغراً وهو فوق البدر في العظم

وتحت عنوان «الصراط المستقيم» كتب احمد عبيد الابيات التالية:

يولون شطر العالمين وجوههم
واني لغير الله لا اتوجه

ولـســت ابــالــي ان هديت صراطـه

اذا ما تحـانـي قائـل الـرأي اعمـه

فمـا نعـمـة الاوربـي ولـيهـا

ولـست أرى في الـنـاس ما ليس يكـره

وهو هنا يعلمنا بشعره التوجه الى الله وحده فهو خالقنا وهو وليّ نعمتنا وليس غير الله ينفع إلا بما اراد الله .

وتحت عنوان «تشوق» كتب احمد عبيد الابيات التالية :

ليت لي اجـنـحـة تخـفـق بي

في فضـاء من جواء الـسـيربـين

آه وأشـواقـي لهـاتـيك الـربـى

ان فيهـا قرّة للمـقـلتـين

حيث من اهـواه في مرتـبـع

ذي قرار ومـعـين كالـلجـين

حيث أهـلي ومجـالـي بهـجتـي

وشـفـاء الـنـفس من بين وأين

ومـا اروع تلك المعاني في هذه الابيات في الحنين الى الوطن والشوق اليه .

وتحت عنوان «قوة الاتحاد» كتب احمد عبيد، في المعاني الوطنية والقومية :

أرى الـدهـر يستشري على العرب شره

وانهم من عدّة الأبد . . . . عزّل

وما الأيد إلا أن يكونوا على العدى

يداً بأسهـا يوهي العـداة ويعقـل

لكـل امرىء منهم نوازع ينتحي

بهـا في بيّنات الطريقِ فسيخذل

ويوغـل كلٌ في مجاهل . . قطفـهـا

يقـطع أعنـاق الـرجـال ويفصـل

اذا لـم يكـن رأي جميع الأمـة

وعـزم شديد في الحوادث فيصل

فلا يرتجى يومـاً لهـا من كرامة

وليس لهـا عن موطنِ الذل مَعدَل

وتحت عنوان «حب الوالدين» كتب يصف الوالدين وعطفهما وحنانهما :

ما بعـيـنـي ابـصـر الأشـيـاء بل

بعـيون منـكـم تصـحـب عيني

كل ما ابـصـره من منـظر

حسـن أو مشـهـد في مصـر زين

فهـو منـكـم أو لكـم ارصـده

هل علمـتـم بوفـاء فوق ذين

يا احـبـائـي ومـا اصدقـه

من نداء، صادر عن حلف بين

لا تظنـوا مثـله من أحـد

أي حب مثـل حب الـوالـدين

وكتب أحمد عبيد يصف «ينبوع السعادة» بقوله :

لا تحـسـبـن سعـادة الـدنيا بمـا

تحـوي يداك من الـغـنـى فيزول

ان الـسـعـادة باليقين وبـالـرضـا

وهـمـا عام لا يكـاد يميل

والـقلب ينبـوع السعـادة ان يغض

منـه فليس لهـا الـيه سبـيل

ويبين لنـا في ابياتـه بان السعادة ليست بالغنى والمال الزائل وانما السعادة تكمن في القلب الذي يعمر باليقين والقناعة والرضا .

● ولقـد ضم تقويم احمد عبيد خلاصة الفكر الانساني في الشرق والغرب .